مفهومُ الحُزْنِ في الإسلام

حُزنُ الإمامِ زَينِ العابدين(ع)أنموذجاً

تأليف

رياض عبدالعزيز الحسني

2024

مَفْهُوم الحُزْنِ في الإسْلام

حُزْنُ اَلْإمَامْ زَيْنْ اَلْعَابِدِين (ع) أُنمُوذَجاً

مَفْهُوم الحُزْنِ في الإسْلام

حُزْن اَلْإِمَامْ زَيْنْ اَلْعَابِدِين (ع) أُنمُوذَجاً

تَأْلِيف

رِيَاض عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَسَنِي

٢٣٩،٣

ح٥٩٩ الحسني ، رياض عبد العزيز

مفهوم الحزن في الاسلام / رياض عبد العزيز الحسني .
– ط١ . – بغداد : مؤسسة ثائر العصامي ، ٢٠٢٤.

(١٦٨) ص ؛ (٢٣) سم

١- علي بن الحسين (عليه السلام ...- الامام الرابع) ٢-
اهل بيت النبي .- ب- العنوان

رقم الايداع

٤٥٠/ ٢٠٢٤

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

إهداء

الى والدي رحمه الله ووالدتي أطال الله في عمرها

الى مَنّ أمَرَنا الله تعالى بطاعتهما والإحسان لهما بقوله عز وجل:

﴿وَوَصَّينَا ألإِنسَنَ بوَلِدَيهِ حُسنا وَإِن جَهَدَاكَ لِتُشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِۦ عِلم فَلَا تُطِعهُمَا إِلَيَّ مَرجِعُكُم فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾

أرجو الله تعالى أن يجعلني من البارين بهما وبكل من رعاني وعلمني وغرس في الولاء لمحمد (ص) وأهل بيته (ع)

عنوان الكتـاب : مفهوم الحزن في الاسلام

تـأليـف : رياض عبد العزيز الحسني

القيـاس :١٥ سم × ٢٣سم

عدد الصفحات : ١٦٨ صفحة

الإخـراج الفني : نهلة نشأت الشمري

سنـة الطبـع : ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

المطبعـة : جعفر العصامي للطبع والتجليد الفني

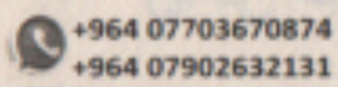
النـاشـر : مؤسسة ثائر العصامي

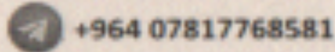
لمراسلة المؤلف : riyadh98@gmail.com

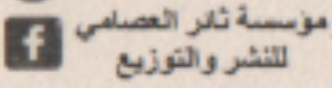




العراق _ بغداد _ المتنبي
thaer.jafar1965@yahoo.com
ثائر العصامي للطباعة والنشر







ISBN: 978-9922-712-34-5

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٤٥٠ لسنة ٢٠٢٤

المقدمة

الحَمدُ للهِ الأولِ بِلا أول كَانَ قَبلَهُ، والآخِرِ بِلا آخر يَكونُ بَعدَه، الذي قصُرَت عن رُؤيتهِ أبصارُ الناظرينَ، وعَجَزَت عن نعتهِ أوهامُ الواصِفِين، وصلى الله على نبيه الكريم، إسوة المؤمنين، خير خلق الله أجمعين، محمد وأهل بيته الميامين المعصومين، منار العصور الى يوم الدين.

وبعد

ذكر الله تبارك وتعالى الحزن في كتابه العزيز بطرائق مختلفة وأساليب وإشارات رمزية متعددة موزعة في آيات كثيرة، يختلف تفسير الحزن فيها بحسب السياق القرآني لموقع تلك الآيات، ومن خلال المشتركات في النصوص القرآنية يمكننا توزيعها الى مجاميع بحسب المقصود القرآني من ذلك الحزن، فهناك حزنٍ أُخروي وعد الله تبارك وتعالى المؤمنين بنفيه عنهم، ومنع وقوعه في ساحتهم، وهذا النوع من الحزن جاء في عشرين آية، إلا أن الوعد الإلهي فيها كان مشروطاً وجاء في سياقٍ قرآني يتحدث عن نوع من أنواع الأعمال والطاعات والالتزامات الدينية، إذا ما التزم المؤمنون بأدائها سيكون ثوابه نفي الحزن والخوف عنهم يوم القيامة، و بالمقابل هناك

سياقٌ قرآني يقدم الحزن كعقاب يتوعّد الله به الكافرين والمشركين في الآخرة، وهذا إضافة الى ما نلاحظه من خطابات اخرى إرشادية، يكون الحزن فيها عنصراً من عناصر الإرشاد والتوجيه، يخص الله به النبي (ص) أو المؤمنين بتجنب الوقوع فيه، لأنه نوع ممقوت من الأحزان يخالف أصل العقيدة، أو فرع من فروعها التشريعية، وهذا بالطبع لا يجعلنا نغفل عن خطاب قرآنيّ آخر، يمدح الله تبارك وتعالى فيه الحزن لأسباب نابعة من الحزن نفسه، أو من دوافعه أو ما يؤول اليه من نتائج.

إن الناظر المتفحص للآيات القرآنية التي ورد فيها الحزن، سيقف حتماً على الرمزية التي رافقت تلك الأحزان، خاصة الآيات التي ذكرت حزن الأنبياء والصالحين، فلكل حزن من تلك الأحزان رمزية توقّف عندها المفسرون كثيراً، وفككوا رموزها ليستنبطو منها معانيَ عظيمة للأخلاق، وما يهدف اليه الخطاب القرآني من ترسيخ منظومات فكرية أخلاقية تعالج المُثل التربوية للمؤمن، لتجعلها متوافقة مع النظام القرآني الخاص ببناء شخصية الإنسان.

إن مفردة الحزن لا يمكن أن تؤتي ثمارها، سواء منها السلبية أو الإيجابية، أن لم تسِر وفق منهج متكامل، يقود الفرد الى نوع أو

طريقة للحياة، يتكامل فيها الحزن مع مفردات أخرى فكرية وروحية، وتطبيقات عملية يكون أثرها واضحاً على حياة الإنسان، فلم يكن يعقوب النبي حزيناً وكفى، بل إن (الحزن اليعقوبي) كان منظومة دعوية اصطبغت بها حياة النبي يعقوب عليه السلام، وبان أثرها على محيطه المجتمعي كله، وسيأتي بحث ذلك والتوقف عنده ملياً ليكون الأمر واضحاً أكثر ..

من هنا يجرنا البحث الى الفارق الجوهري للتعامل القرآني مع مفردة الحزن، وكيف كان سياق الآيات في عرض حزن أم موسى مثلاً وطبيعة السياق في عرض حزن مريم وآسيا زوجة فرعون، فهناك بَوْنٌ شاسع في عرض الحزن كقضية اجتماعية عامة، وبين عرضه كحالٍ فردية يقدمها القرآن كأنموذج وعبرة ..

هناك أمر آخر لا ينفصل عن بحثنا في الحزن بالمنظور القرآني، وهي اشتقاقات كلمة الحزن، وأسبابها، إضافة الى مرادفات الحزن، أو لنقل، الكلمات الأخرى التي عبرت عن الحزن وبيّنت أنواعه بحسب تلك المفردات مثل (أسى، بث، أسف ...) وغيرها،

وكيف كان لكل مفردة وضعها وتفسيرها اللغوي وما تتضمنه من رمزية فكرية وروحية ..

وإذا ما أخذنا الظهور القرآني في قضية الحزن سيجرنا البحث الى النظر في التقسيم الأصولي للأحكام الشرعية التي تتوزع حول قاعدة التنجيز والتعذير، فنكون أمام حزن يحرمه الشرع وآخر يوجّبه، وتتوزع الكراهة والاستحباب على طرفيهما، و يتوسط الجميع الحزن المباح .. فالحزن إذن قضية لا تنفصل عن حياة الإنسان على الأرض، ولا يمكن أن يهملها الشرع الإلهي، وانطلاقاً من حق الطاعة الذي أقره القطع العقلي، نكون أمام كمٌ من الأحكام الشرعية التي يتوجب على الفقيه أن ينظر فيها، ويحدد الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية التي يجب على المؤمن اتباعها والإلزام بها، مثل الأحكام الخاصة بحِداد الزوجة المتوفى زوجها، وحدود إيذاء النفس، وهو تصرف فطري يصدر من الإنسان بسبب ما يتعرض له من مصائب، كفقد عزيز أو خسارة تجارية أو فراق حبيب وما شابه ذلك ..

وفي ختام بحثنا حول عرض الحزن بالمنظور القرآني، لابد أن نعرج على ما يفرزه الحزن من آثار سياسية على حياة الأمة، وسير

عملها وثباتها على العدل والصلاح، فلم تكن مناجاة الروح التي تناقلتها الأمة عن الإمام علي عليه السلام وهو يخاطب الدنيا بين الفينة والأخرى، أن " يا دنيا غُرّي غيري " مجرد مناجاة عبادية اعتادت الأمة سماعها من قائد الدولة وزعيمها الإمام علي (ع)، بل إنها أسس تربوية رسالية حرص على إرسائها الإمام بطريقة حزينة يرافقها الخوف من الانحراف، وتنهمر بها الدموع، لكي لا تفقد المناجاة صبغتها الروحية، وتتحول الى مجرد وسيلة تربوية اتخذها الإمام لتربية الأمة، كنوع من أنواع السياسات العامة لتنظيم المجتمع وأدلجته . بالطبع لم يكن الإمام بما يملكه من العصمة خائفاً على نفسه الانحرافَ، فهو القائل " لو كشف لي الحجاب ما ازددت يقينا "، بل هو خطاب عابر للعصور تلقفه الإمام زين العابدين عليه السلام وجعل منه أساساً لإرساء طريق المعارضة الهادفة، بعد أن جعله جده الإمام علي عليه السلام طريقاً للحكومة، وهذا من أروع ما ظهر من سيرة المعصومين في ما وصلنا من معالجاتهم للقضايا السلبية، والعمل على استنباط الوضع الإيجابي منها ليكون محل نفعٍ للأمة على المستوى العام وتنفع الفرد المؤمن بما يُصلح له دنياه وآخرته على المستوى الخاص.

الغاية من البحث

حاولت في هذا البحث بتوفيق الله تعالى، أن أسلط الضوء على الحزن، كقضية، من خلال القصص القرآني، وما ورد من سيرة النبي (ص) وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ولم أختر هذا الموضوع، كحال من أحوال الترف الفكري، إنما أردت أن أبحث الأمور الآتية :

١ . عرض لمسيرة الحزن في حياة بعض الصالحين الذين وردت سيرتهم في القرآن الكريم، وتسليط الضوء على تفاعلهم مع الأحداث التي أثارت في نفوسهم الأحزان.

٢ . دراسة تراث الحزن الذي خلّفه الإمام زين العابدين (ع)، وكيف جعل تلك الأحزان وسيلة لتربية الأمة، ومنهجاً للرفض وترسيخ ظاهرة المعارضة في المجتمع، عندما جعل من تلك الأحزان، وسيلة دعوية تقود الأمة الى طريق صلاحها ونجاتها.

٣ . محاولة لتفكيك مظهر الحزن الذي لازم الإمام زين العابدين عليه السلام وبيان موضع العبرة فيه، و إنه لم يكن حزناً سلبياً كما يصوره بعض الكُتّاب ممن كتب في سيرة الإمام السجاد (ع).

٤ . محاولة لتوجيه أنظار بعض المؤمنين ممن لا يرون في الحزن إلا صورته السلبية، ويعيبون على الناس تمسكهم بترسيخ حالة الحزن في المجتمع، جنباً الى جنب الاستمتاع بالحياة و النِعم التي خلقها الله تعالى لخلقه.

٥ . ذكر أنواع الحزن وبيان وضعه من الناحية الشرعية.

٦ . محاولة لبيان القيم التربوية التي يمكن استخلاصها من الحزن.

والله المستعان وهو ولي التوفيق ...

الفصل الأول

- الحزن في اللغة
- الحزن كما يراه علماء النفس
- الحزن في السير والسلوك

الحزن في اللغة

هناك كم كبير من التعريفات التي تناولها أهل اللغة بخصوص كلمة الحزن، فمنهم من اتَّبع طريقَ بيان الحد المقابل للكلمة، مبيناً المراد منها ببيان مخالفها من كلمات، ومنهم من اتبع الأصل اللغوي، وجاء بجذر الكلمة الأول حين الوضع، وحاول ان يقارب بينه وبين جذرها، ومنهم من جمع الطريقين، كما فعل صاحب الصحاح حيث قال : " الحزن خلاف السرور، وحَزِنَ الرجل بالكسر فهو حَزِنٌ وَحَزِينٌ. وأحَزَنَهُ غيره وحَزَنَهُ أيضاً، مثل أسلكه وسلكه، ومحزونٌ بُنيَ عليه "، وقال الزبيدي: حَزَنَهُ لغة قريش، وأَحْزَنَهُ لغة تميم، وقد قرئ بهما، واحتزن وتحزن بمعنى، قال العجاج:

بَكَيتَ وَالمُحتَزِنُ البَكيُّ ... وإنَّما يَأتي الصِبا الصَبِيُّ

والحزانة بالضم والتخفيف: عِيال الرجل الذي يتحزن بأمرهم، وفلان يقرأ بالتحزين، إذا أرقّ صوتَه به، والحَزْنُ: ما غلُظَ من الأرض، وفيها حزونة، قال ابن السكيت: بعير حزنى: يرعى في الحزن من الارض، وقول أبى ذؤيب يصف مطرًا:

فحط من الحزن المغفرا .. ت والطير تلثق حتى تصيحا

قال الاصمعي: الحزن الجبال الغلاظ، الواحدة حزنة، مثل صبرة وصبر، والحزن: بلاد للعرب، والحزن: حي من غسان، وهم الذين ذكرهم الاخطل في قوله:

تسأله الصبر من غسان إذ حضروا والحزن كيف قراه الغلمة الجشر

والحزون: الشاة سيّئة الخلق[1].(انتهى).

وكما ترى حاول الجوهري أن يشتق من الجذر (الحَزْنُ)، التي تشير الى غلظ الأرض، وأرجع اليها مجموعة كلمات متقاربة النطق والمعنى مختلفة التركيب والتشكيل، وهذا وإن كان لا يختلف عما اتبعه صاحب تاج العروس، إلّا أن الأخير أطنب وأضاف مما لا غنى عن نقله، ففيه ما يكشف لنا الكثير مما يتجاوز المعنى اللغوي للكلمة فهو يقول[2]:

(حزن): (الحُزْنُ، بالضَّمِّ ويُحَرَّكُ)، لُغتانِ كالرُّشْدِ والرَّشَدِ، قالَ الأَخْفَشُ: والمِثالانِ يَعْتَقِبان هَذَا الضَّرْب باطِّرادٍ. وقالَ اللَّيْثُ: للعَرَبِ فِي الحُزْنِ لُغَتانِ، إذا فَتَحُوا ثَقَّلوا، وإذا ضَمُّوا خَفَّفُوا؛ يقالُ: أَصابَهُ حَزَنٌ شَديدٌ وحُزْنٌ شَديدٌ، وقالَ أَبو عَمْرٍ و: إذا جاءَ الحزَن

---

[1] تاج اللغة وصحاح العربية ص٢٤٦.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي – ج٣٤ ص٤١١.

مَنصوباً فَتَحُوه، وإذا جاءَ مَرْفوعاً أو مَكْسوراً ضَمُّوا الحاءَ كقَوْلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: {وابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِن الحُزْنِ}، أي أَنَّه فِي مَوْضِع خَفْض. وقالَ: {تَفِيضُ مِن الدَّمْعِ حَزَناً} ؛ أي أنَّه في مَوْضِعِ النَّصْبِ، وقالَ: {أَشْكُو بَثِّي وحُزْني إلى اللَّهِ} ضمُّوا الحاءَ هَهُنا: (الهَمُّ). وَفِي الصِّحاحِ: خِلافُ السّرورِ، وفرَّقَ قومٌ بينَ الهَمِّ والحُزْنِ، وقالَ المناوِيُّ: الحُزْنُ الغَمُّ الحاصِلُ لوقوعِ مَكْرُوه أو فَواتِ مَحْبوبٍ فِي الماضِي، ويُضادُّه الفَرَحُ، وقالَ الرَّاغِبُ: الحُزْنُ خُشونَةٌ فِي النفْسِ لمَا يَحْصَلُ فِيهِ مِن الغَمِّ. (ج أَحْزَانٌ)، لا يُكَسَّرُ على غيرِ ذلِكَ، وَقد (حَزِنَ، كفَرِحَ)، حَزَناً (وتَحَزَّنَ وتَحازَنَ واحْتَزَنَ) بمعْنًى، قالَ العجَّاجُ:

بَكَيْتُ والمُحْتَزَن البَكِيُّ .. وإنَّما يأْتي الصِّبا الصَّبِيُّ

(فَهُوَ حَزْنانٌ ومِحزانٌ) :) شَديدُ الحُزْنِ. (وحَزَنَهُ الأَمْرُ) يَحْزُنُه (حُزْناً، بالضَّمِّ، وأَحْزَنَهُ) غيرُهُ، وهُما لُغَتانِ، وَفِي الصِّحاح: قالَ اليَزِيدِيُّ: حَزَنَه لُغَةُ قُرَيْشٍ، وأَحْزَنَه لُغَةُ تَمِيمٍ، وَقد قُرِئَ بهما.

وكَوْن الثلاثيّ لُغَة قُرَيْش قد نَقَلَه ثَعْلَب أَيْضاً، وأَقَرَّهما الأَزْهرِيُّ، وَهُوَ قَوْل أَبي عَمْرٍو، رَحِمَه اللَّهُ تعالَى، وقالَ غيرُهُ: اللغَةُ العالِيَةُ حَزَنَه يَحْزُنه، وأَكْثَرُ القرَّاءِ قَرَأُوا {فَلَا يَحْزُنْك قَوْلُهم}، وكَذلِكَ قَوْله: {قَدْ نَعْلم أَنَّه لَيَحْزُنْك الَّذِي يَقولُونَ} ؛ وأَمَّا الفِعْلُ اللازِمُ فإنَّه يُقالُ فِيهِ

حَزِنَ يَحْزَنُ لا غَيْر. وقالَ أبو زَيْدٍ: لَا يَقولُونَ قد حَزَنَه الأَمْرُ، ويقولونَ يَحْزُنه، فإذا قَالُوا أَفْعَلَه اللّٰهُ فَهُوَ بالأَلِفِ. ومالَ إليه صاحِبُ المِصْباحِ. وقالَ الزَّمَخْشرِيُّ: المَعْروفُ فِي الاسْتِعْمالِ ماضِي الأَفْعالِ ومُضارِعِ الثلاثِيّ، وأَبْدَى لَهُ أَصْحابُ الحَواشِي الكشافية والبَيْضاوِيَّة نكتاً وأَسْراراً مِن كَلامِ العَرَبِ وعَدْلاً فِي إنْصافِ الكَلِماتِ وإعْطاءِ كلّ واحِدَةٍ نَوْعاً مِن الاسْتِعْمال. وقالَ شيْخُنا، رَحِمَه اللّٰهُ تعالَى: وكُلُّ ذلِكَ عنْدِي لَا يَظْهرُ لَهُ وَجْه وَجِيه إذ مَناطُه النَّقْل والتَّعْليل بعْدَ الوُقُوعِ.

وقالَ الرَّاغِبُ فِي قوْلِه تعالَى: {وَلَا تَحْزنوا}، {وَلَا تحزن}، ليسَ بذلِكَ، نَهْي عَن تَحْصِيلِ الحُزْنِ، فالحُزْنُ لَا يَحْصَلُ باخْتِيارِ الإِنْسانِ، ولكنَّ النَّهْي فِي الحَقِيقَةِ إنَّما هُوَ عَن تَعاطِي مَا يُورِثُ الحزنَ واكْتِسابه، وإلى معْنى ذلِكَ أشارَ القائِلُ:

وَمن سَرَّه أَنْ لَا يَرى مَا يَسُوؤُهُ .. فلا يتَّخِذ شَيْئًا يَخافُ لَهُ فَقْدا

وفِي النِّهايَةِ: قوْلُه تعالَى: {الحَمْدُ للّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ} ؛ قَالُوا فِيهِ: الحَزَنُ هَمُّ الغَداءِ والعَشاءِ، وقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا يَحْزُن مِنْ هَمِّ مَعاشٍ أَو حَزَنِ عَذابٍ أَو حَزَنِ موْتٍ. (أَو أَحْزَنَهُ: جَعَلَهُ حَزِيناً، وحَزَنَهُ: جَعَلَ فِيهِ حُزْناً)، كأَفْتَنَه: جَعَلَه فاتِناً، وفَتَنَه: جَعَلَ فِيهِ فِتنَةً، قَالَه

سِيَبَوَيْه. وَفِي الحَدِيْثِ: (كَانَ إِذا حَزَنَه أَمْرٌ صلَّى)، أَي أَوْقَعَه فِي الحُزْنِ، ويُرْوَى بالباءِ وَقد تقدَّمَ؛ (فَهُوَ مَحْزونٌ)، مِن حَزَنَه الثُّلاثيِّ، (و) قالَ أَبو عَمْرو: يَقولُونَ: أَحْزَنَني فأَنا (مُحْزَنٌ) وَهُوَ مُحْزِنٌ، ويَقولُونَ: صَوْتٌ مُحْزِنٌ وأَمْرٌ مُحْزِنٌ، وَلَا يَقولُونَ: صَوْتٌ حازِنٌ، (و) رجُلٌ (حَزِينٌ وحَزِنٌ، بكسْرِ الزَّاي) على النَّسَبِ (وضمِّهما، ج حِزانٌ)، بالكسْرِ، كظَرِيفٍ وظِرافٍ، (وحُزَناءُ) ككَرِيمٍ وكُرَماء.

وَقد خَلَطَ المصنِّفُ، رَحِمَه اللَّهُ تعالَى، بينَ اسْمِ فاعِلٍ ومَفْعولٍ وبينَ المَأْخوذِ مِن الثَّلاثي والرّباعي، وَفِي المَجْموعِ، وَلَا يَكادُ يُحرِّره إلاَّ الماهِرُ بالعُلومِ الصَّرْفيَّةِ، فتأَمَّلْه.

(وعامُ الحُزْنِ)، بالضمِّ: العامُ الَّذِي ماتَتْ فِيهِ خَدِيجَةُ رَضِوان اللَّهُ تَعالَى عَليها، و عَمُّ النبي (ص) أَبو طالِبِ (رض)، هَكَذَا سَمَّاه رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَآله وسلم، حَكَى ذَلِك ثَعْلَبُ عَن ابنِ الأَعْرابيِّ، قالَ: وماتَا قَبْل الهِجْرةِ بثلاثِ سِنِيْنَ.

والحُزانَةُ، بالضمِّ: قَدْمَةُ العَرَبِ على العَجَمِ فِي أَوَّلِ قُدومِهِم الَّذِي اسْتَحَقُّوا بِهِ مَا اسْتَحَقّوا من الدُّورِ والضِّياعِ، كَذَا فِي المُحْكَمِ. وقالَ الأَزهرِيُّ: هُوَ شَرْطٌ كانَ للعَرَبِ على العَجَمِ بِخُراسان إِذا أَخَذُوا بَلداً

صُلْحاً أنْ يكون إذا مَرَّ بهم الجيوش أفْذاذاً أو جماعاتٍ أنْ يُنْزلوهم ثمَّ يَقْرُوهم، ثمَّ يُزَوِّدونَهم إلى ناحيةٍ أخْرى.

وحُزانَتُكَ: عِيالُكَ الذينَ تَتحزَّنُ لأمْرِهِم وتَهْتَم بهم، فيقولُ الرَّجُل لصاحِبِه: كيفَ حَشَمُك وحُزانَتُك؟ . ومِن سَجَعاتِ الأساسِ: فلانٌ لا يُبالي إذا شَبِعَتْ خِزَانَته أنْ تَجوعَ حُزَانَتُهُ. (والحَزونُ: الشّاةُ سَيِّئَةُ الخُلُقِ) نَقَلَهُ الجَوْهرِيُّ. (والحَزْنُ)، بالفتْحِ: (مَا غَلُظَ من الأرضِ) كَمَا فِي الصِّحاحِ. وقالَ أبو عَمْرٍ و: الحَزْنُ والحَزْمُ: الغَلِيظُ مِن الأرضِ. وقالَ غيرُهُ: الحَزْمُ مَا احْتَزم مِن السَّيْل مِن نَجَوات المُتُونِ، والحَزْنُ مَا غَلُظ مِن الأَرْض فِي ارْتِفاعٍ، والجَمْعُ حُزُومٌ وحُزُونٌ. وقالَ ابنُ شُمَيْل: أَوَّلُ حُزُونِ الأَرْضِ قِفافُها وجِبالُها ورَضْمُها، وَلَا تُعَدُّ أرضٌ طَيِّبَةٌ، وإِن جَلُدَتْ حَزْناً. (كالحَزْنَةِ) لُغَة فِي الحَزْنِ (وأَحْزَنَ: صَار فِيهَا)، كأَسْهَلَ: صَارَ فِي السَّهْلِ. والحَزْنُ: (حَيٌّ من غَسَّان) مَعْرُوفٌ، وهُم الذينَ ذَكَرَهم الأَخْطَلُ فِي قوْلِه:

تَسْأَله الصُّبْرُ مِنْ غَسَّان إذْ حَضروا..والحَزْنُ كَيْفَ قَراه الغِلْمةُ الجَشَرُ

هَكَذَا أَوْرَدَه الجَوْهرِيُّ. قالَ ابنُ بَرِّي: الصَّوابُ: كَيْفَ قَراكَ، كَمَا أَوْرَدَه غيرُهُ، أي الصُّبْرُ تَسْأَلُ عُمَيْر بنَ الحُباب، وَكَانَ قد قُتِل، فتقولُ لَهُ: كيفَ قَراكَ الغِلْمةُ الجَشَر، وإِنَّما قَالُوا لَهُ ذلِكَ لأَنَّه كانَ يَقولُ

لَهُم: إنَّما أَنْتُم جَشَرٌ، أَي رعاةُ الإِبِلِ. لا (و) الحَزْنُ: (بِلادُ العَرَبِ)، هَكَذَا فِي النسخِ، وَالَّذِي فِي الصّحاحِ، بِلادٌ للعَرَبِ، (أَو هُما حَزْنانِ) :(أَحَدُهما: (مَا بَيْنَ زُبالَةَ) و مَا فَوْقَ ذلِكَ مُصْعِداً فِي بِلادِ (نَجْدٍ)، وَله غِلَظٌ وارْتِفاعٌ. (و) الثَّاني: (لِبَني يَرْبوعٍ) و هُوَ مَرْتَعٌ مِن مَراتِعِ العَرَبِ، (فِيهِ رِياضٌ وقِيعانٌ). وقالَ نَصْر: صقْعٌ واسِعٌ نَجْدِيٌّ بين الكُوفَةِ وفيد مِن دِيارِ بَني يَرْبوعٍ. وقالَ أَبو حَنيفَةَ: حَزْنُ بَني يَرْبوعٍ قفٌّ غَلِيظٌ مَسِير ثَلاث لَيالٍ فِي مثْلِها، وَهِي بَعِيدَةٌ مِن المِياهِ، فليسَ تَرْعاها الشَّياهُ وَلَا الْحُمُرُ، فليسَ فِيهَا دمنٌ وَلَا أَرْواثٌ. والحَزْنُ فِي قوْلِ الأَعْشَى:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رياضِ الحَزْن مُعْشِبَةٌ : خَضْراءُ جادَ عَلَيْهِ مُسْبِلٌ هَطِلُ

مَوْضِعٌ كانَتْ تَرْعَى فِيهِ إِبِلُ المُلُوكِ، وَهُوَ مِن أَرْضِ بَني أَسَدٍ. (وَمِنْه) قوْلُهم: (مَنْ تَرَبَّعَ الحَزْنَ وتَشَتَّى الصَّمَّان وتَقَيَّظَ الشَّرَفَ فقد أَخْصَبَ) نَقَلَهُ الأَزْهرِيُّ (وحَزْنُ بنُ أَبي وهبٍ) بنِ عَمْرِو بنِ عائِذِ بنِ عِمْرانَ بنِ مَخْزومٍ المَخْزومي، (صَحابِيٌّ) لَهُ هجْرَةٌ، رَوَى عَنهُ ابْنُه المُسَيَّبُ أَبو سعِيدٍ، وقُتِلَ يومَ اليَمامَةِ؛ قالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ: أَرادَ النبيُّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنْ يغيِّرَ اسْمَ جَدّي ويُسمِّيه سَهْلاً فأَبَى وقالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْماً سمَّاني بِهِ أَبي، فَمَا زَالَتْ فِينا تِلْكَ الحُزونَةُ بَعْدُ.

(و) الحُزَنُ، (كصُرَدٍ: الجِبالُ الغِلاظُ الواحِدُ، حُزْنَةٌ، بالضمّ)، كصُبْرَةٍ وصُبَرٍ؛ نَقَلَه الجَوْهرِيُّ عَن الأَصْمَعيّ وَبِه فَسّرَ قَوْل أَبي ذُؤَيْبٍ السَّابِق في رِوايَةِ مَنْ رَوَى: (فأَنْزَلَ من حُزَن المُغْفِرات) وإِنَّما حَذَفَ التَّنْوين لالْتِقاءِ السَّاكِنَيْن (وجَبَلٌ) (و) حَزِينٌ، (كأَميرٍ ماءٌ بنَجْدٍ) عَن نَصْر. (و) الحَزِينُ: (اسْمُ) رجُلٍ. (و) حَزانٌ، (كسَحابٍ، وثُمامَةَ وزُنَيْرٍ: أَسْماءٌ. وتَحَزَّنَ عَلَيْهِ: تَوَجَّعَ. (وَهُوَ يَقْرأُ بالتَحْزِينِ)، أَي (يُرَقِّقُ صَوْتَهُ) بِهِ؛ نَقَلَه الجَوْهرِيُّ. وممَّا يُسْتدركُ عَلَيْهِ: الحُزونَةُ: الخُشُونَةُ فِي الأَرضِ. وَقد حَزُنَتْ، ككَرُمَ: جاؤُوا بِهِ على ضِدِّه، وَهُوَ كقَوْلِهم؛ مكانٌ سَهْلٌ وَقد سَهُل سُهولَةً. ومَحْزونُ اللِّهْزِمةِ: خَشِنُها، أَو أَنَّ لِهْزِمَته تَدَلَّت مِن الكآبَةِ. وأَحْزَنَ بِنا المنزلُ: صارَ ذَا حُزونَةٍ، كأَخْصَبَ وأَجْدَبَ، أَو أَحْزَنَ: رَكِبَ الحَزْنَ، كأَنَّ المنزلَ أَرْكَبهم الحُزونَةَ حيثُ نَزَلُوا فِيهِ. وقالَ ابنُ السِّكِّيت: بَعيرٌ حَزْنِيٌّ: يَرْعَى فِي الحَزْنِ مِن الأَرْضِ؛ نَقَلَه الجَوْهرِيُّ. والحُزَنُ، كصُرَدٍ: الشَّدائدُ؛ وَبِه فُسِّر قَوْلُ المُتَنَخِّل:

وأَكْسُو الحُلَّةَ الشَّوْكاءَ خِدْني .. وبَعْضُ الخَيْرِ فِي حُزَنٍ وِراطِ

والحَزْنُ مِن الدوابِّ: مَا خَشُنَ، صفَةٌ، والأُنْثى حَزْنةٌ. ويَقولُونَ للدابَّةِ إِذا لم تكُنْ وَطِيأً: إِنَّه لحَزْنُ المشْيِ، وَفِيه حُزُونَةٌ، وَهُوَ مَجازٌ.

والحُزُنُ، بضَمَّتَيْن في قَوْلِ ابنِ مُقْبِل: مَرَابِعُهُ الحُمْرُ مِنْ صَاحَةٍ ومُصْطَافُهُ في الوُعُولِ الحُزُنْقيلَ: لُغَةٌ في الحَزْنِ، بالفتْحِ، وقيلَ: جَمْعٌ لَهُ. وحُزُنٌ، بضمَّتَيْن: جَبَلٌ لهُذَيْل، وَبِه رُوِي أَيْضاً قَوْلُ أَبي ذُؤَيْبٍ السابِقُ. وأَرْضٌ حَزْنَةٌ، وَقد حَزُنَتْ واسْتحْزَنَتْ. وصَوْتٌ حَزِينٌ: رَخِيمٌ. ورَجُلٌ حَزْنٌ: أَي غيرُ سَهْل الخُلُقِ؛ كَمَا في الأَساسِ. وعَمْرُو بنُ عبيدِ بنِ وهبٍ الكِنانيُّ الشاعِرُ يُلَقَّبُ بالحَزِينِ، وَهُوَ القائِلُ في عبدِ اللَّهِ بنِ عبْدِ المَلِكِ وَقد وَفَدَ إليه بمِصْرَ وَهُوَ وَالِيها يمدَحُه في أبْياتٍ مِن جُملتِها:

فِي كَفِّه خَيزُرانٌ رِيحُه عَبِــق ... فِي كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِه شَمَمُ

يُغْضِي حَياءً ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وهو القائِلُ أَيْضاً يَهْجو إنْساناً بالبُخْلِ:

كأَنَّما خُلِقَتْ كَفَّاه منْ حَجَرٍ .. فليسَ بينَ يدَيْهِ والنَّدَى عَمَلُ

يَرى التَّيَمُّمَ فِي بَرٍّ وَفِي بَحَرٍ .. مَخافَةً أَنْ يُرَى فِي كَفِّه بَلَلُ

وأَبو حزانَةَ اليَمَنِيُّ: شاعِرٌ كانَ مَعَ ابنِ الأَشْعَثِ، واسْمُه الوَليدُ بنُ حَنِيفَةَ؛ نَقَلَه الحافِظُ. ومالِكُ الحَزِينِ: طائِرٌ. وحزنُ بنُ زَنْباعٍ: بَطْنٌ؛ عَن الهَمدانيِّ. وحزنُ بنُ خفاجَةَ: بَطْنٌ مِن قَيْسٍ.

وإنا وإن توقفنا كثيراً عند المعنى اللغوي لكلمة الحزن، لكن لا بأس أن نعرج الى فقه اللغة للثعالبي وننقل منه ماذكر من كلمات أخرى تتضمن معنى الحزن، قال[1] :

اللَّهَفُ : والأَسَى حزْن على الشَّيءِ يَفُوتُ.

الكَمَدُ : حُزْنٌ لا يُستَطَاعُ إمْضَاؤُهُ .

البَثُّ : أشَدُّ الحُزْنِ.

الكآبَةُ : سُوءُ الحَالِ والانْكِسَارُ مَعَ الحُزْنِ .

بَثُّ : أشَدُّ الحُزْنِ.

أسَفُ : حُزْن مَعَ غَضَبٍ. ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً}.

الوجوم : هو حزْن يُسْكِتُ صَاحِبَهُ.

الهَمْهَمَةُ : هو صَوْت يُخْرِجُهُ تَرَدُّدُ الزَّفِيرِ في الصَّدْرِ مِنَ الهَمِّ والحُزْنِ.

من هنا عرفنا أن الحزن له ألفاظ كثيرة تعبر عنه، لكنها ليست بالطبع مترادفات، بل إن لكل لفظٍ له معنىً خاصًا من الحزن، أو قل صورة من صور الحزن، لا يمكن عدُّها كلمة مرادفة، وهو ربما يؤكد الرأي

---

[1] فقه اللغة وسر العربية \ ابو منصور الثعالبي ص ١٣٠.

الذي رفض نظرية المترادفات في اللغة العربية، أمثال الباحث العراقي عالم سبيط النيلي[1] رحمه الله الذي يقول[2] في نظرية الترادف مفنداً لها :

" لا يمكن أن يؤدي المعنى المحدد المقصود للقائل إلاّ لفظاً واحداً أو ترتيباً واحداً "،ويقول :" إن المعنى المقصود للقائل، لا يؤديه على وجههِ الدقيق والصحيح إلاّ لفظ واحد، أو ترتيب واحد . وقد يخطئ القائل أو يتّبع الاصطلاح الخاطئ، أما القرآن الكريم فليس فيه احتمال لحدوث ذلك، إذ اللفظ قد استُخدِم فيه لأداء معنى محددٍ . وقولنا: (أو ترتيب واحد) فهو في حالة قصد المعنى التام . أما لماذا لا يمكن أن يكون للمعنى المحدد أكثر من لفظ واحد، فمرده إلى سببين :

السبب الأول : أن الخلق لهم ميلٌ شديد إلى اختصار المفردات إلى أقلّ عددٍ ممكنٍ لأداء أكبر قدرٍ من المعاني، فأدت رغبتهم هذه إلى

---

[1] نشأ المفكر عالم سبيط النيلي في العراق - قرية السورة التابعة لناحية النيل شمال مدينة الحلة في محافظة بابل وقد أنهى دراسته الثانوية في ثانوية الفيحاء في الحلة وأكمل دراسة البكلوريوس والماجستير في جامعة أوديسا / أوكرانيا توفي النيلي في ليلة الجمعة من يوم ١٧ من شهر أغسطس سنة ٢٠٠٠م عن عمر ٤٤ عاماً.

[2] النظام القرآني / النيلي ص ٣٩ .

حدوث التموضع الجديد للمفردات واشتراكها، وظهور اللغة الاصطلاحية بدلاً من (اللغة المعنوية الحقيقية). فتعدد المفردات لأداء معنى واحد، كان نتيجةً قسريةً لسوء فعلهم هذا، لأنَّه في الأصل بخلاف غايتهم، حيث أن غايتهم هي أن تكون للمفردة معانٍ متعددةٌ لا العكس، فوقعوا في ما كانوا يخشونه. وهذا السبب نسوقه لمن تعجل معرفته وآمن بالوضع .

أما السبب الثاني : فلأن اللفظ هو عبارة عن تسلسلٍ معينٍ من الحروف وهو بخلاف أي تسلسلٍ آخر، ويستحيل أن يطابق أي لفظٍ آخر سوى نفسه، وهو سبب نسوقه لمن يؤمن بمعاني الحروف ويؤمن بالوضع في آنٍ واحدٍ، إذ لا يمكنه الجمع بينهما (المقصود بالوضع هنا هو الوضع الجزافي) " انتهى.

إذن ووفق هذه الرؤية، فالألفاظ الكثيرة المتعددة التي أوردها لنا الثعالبي، يمكن أن توسع دائرة البحث مما يؤدي الى تفرّع الكثير من المسائل، التي قد تخرجنا عن مسار البحث اللغوي الخاص بلفظة الحزن .

الحزن في منظور علماء النفس

إن الانفعالات النفسية ومنها الحزن بحسب وصف المتخصصين في علم النفس، هو عبارة عن: حالة وجدانية مركبة تكون مصحوبة بإضطرابات عضوية داخلية بارزة، تشمل جميع أجهزة الجسم العضلية والدموية والتنفسية والغددية[1].

ومن هذا الوصف المفصل يمكن تقسيم انفعال الحزن الى ثلاثة مستويات هي كالآتي :

- الإضطرابات النفسية الداخلية : وهي تظهر بأشكال شعورية نفسية ذاتية داخلية مختلفة، كالاكتئاب والخوف والشعور بالهم والغم وغير ذلك.
- الاضطرابات الخارجية الظاهرية : و هي تظهر بحسب قوة الشعور الداخلي بالحزن وضعفه، كنزول الدمع والتنهُّد والأنين وغيرها من المظاهر المرتبطة بالاعضاء الخارجية للانسان.

[1] علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية \ الدكتور عبد العزيز القوصي ص١٦٦.

- التغييرات الفسيولوجية الداخلية الفورية والمتأخرة : مثل ماينتج عن الحزن من ارتفاع ضغط الدم او التسارع في عدد دقات القلب، أو ارتفاع نسبة السكر بالدم وغير ذلك.

لايخفى أن الشعور بالحزن ربما هو من أكثر الانفعالات النفسية الشعورية التي لا يمكن إخفاؤها بسهولة، إلا ان علامات ظهورها تكون مختلفةً تبعاً للشخص وقدرته على مواجهة تلك التغييرات والآثار، وقد يكون عند الإناث اكثر منه عند الذكور وعند صغار السن أكثر منه ظهوراً عند كبار السن.

إن من أوائل الدراسات والبحوث التي تناولت (الحزن) كحالة مرضية نفسية بصورة شاملة، سار فيها البحث النظري جنباً الى جنب مع المتابعة السريرية، كانت الدراسة التي قدمتها السويسرية إليزابيث كوبلر- روس **Elisabeth Kubler-Ross** في ستينات القرن الماضي، وكان من نتائج دراستها التي اعتمدت فيها على الحال العاطفية للمرضى المحتضرين، أنها افترضت مراحل للحزن يمر بها الانسان، وقالت إنها خمسٌ وهي - الإنكار، والغضب،

والمساومة، والاكتئاب، والقبول- وغالبًا ما تُتَّخذ هذه المراحل كمرجعية دون أي شرح.

على أية حال – لا يوجد أي دليلٍ واضحٍ، يؤكد أن أغلب الناس يمرون بتلك المراحل على الأغلب، وبهذا الترتيب أو بترتيبٍ آخر مختلف، كما صرح بذلك اكثر من باحث جاء بعدها.

يقول رَسِل ب. فريدمان **Russell P. Friedman** المدير التنفيذي لمؤسسة التعافي من الحزن في منطقة شيرمان أوكس في كاليفورنيا، والذي شارك في تأليف كتاب دليل التعافي من الحزن مع جون دبليو.جَيمس **John W.James** نُشِرَ في العام ١٩٩٨ يقول فيه :" لا توجد أية دراسةٍ أثبتت وجود مراحل الحزن، ولا يجب تسمية هذه المشاعر بالمراحل، فالحزن هو رد الفعل العاطفي الطبيعي للخسارة. لا يهم مدى رغبة الناس في تطوير إرشادات بسيطة وسهلة لمشاعر الحزن البشرية، فالحقيقة أنه لا يوجد مراحل ثابتةً للحزن تنطبق على الأشخاص أو العلاقات" .. يتبع تقويم فريدمان هذا من مشاهداته اليومية لأناس يختبرون الحزن في عمله.

ويؤكد هذا التحليل عالم النفس في جامعة ميمفيس روبرت أ.نايمايَر RobertA.Neimeyer. فقد استنتج في كتابه البحثي (استعادة المغزى وتجربة الخسارة)، الصادر عن جمعية علم النفس الأمريكية العام ٢٠٠١،: " فشلت الدراسات العلمية بشكلٍ واضح في تقديم أي دعمٍ لفكرة وجود تسلسل واضح لمراحل عاطفية للتكيف مع الخسارة، كما فشلت بتحديد أية نقطة نهاية واضحة للحزن يمكن أن تُسمى الشفاء".

الحزن في السير والسلوك

الحزنُ مَرْكَبُهُ صعبٌ وغـايتُه ذَهـابُه فوليُّ الله من حَزِنَا

قلبُ الحزين هنا تَقْوَى قواعدُه هناك والغَرَضُ المقصودُ منك هُنَا

دارُ التكاليفِ دارٌ ما بها فُرَحٌ فالله ليس يحبُّ الفارحَ اللَّسِنَا

هل يا ترى يمكن أن يكون الحزن منزلاً، من منازل أهل السير والسلوك الى الله تبارك وتعالى ؟

فهناك الكثير من العلماء يعترضون على أن يكون الحزن منزلاً من منازل السائرين، ومنهم ابن القيم الجوزية[1] حيث يقول:" لا يمكن أن يكون الحزن منزلاً من منازل السائرين "، بالرغم من أن هناك الكثير ممن أيد هذا المنهج الذي انتهجه صاحب كتاب منازل السائرين الشيخ الهروي الانصاري الذي، عدَّ الحزن مما لا غنى عنه في السير والسلوك وهو منزل من منازله، ولعل الذين يعترضون على عد الحزن منزلاً من منازل السير الى الله تبارك تعالى، ناشئ عن كثرة الآيات التي جاء فيها الحزن منهياً عنه أو منفياً، كقوله تعالى " فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " [2] وقوله تعالى " ولا

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم.

[2] سورة يس الآية ٧٦ .

تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين "[1] وقوله تعالى[2]" وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " وغيرها من الآيات التي سنتعرض لها في فصل خاص.

ولذلك قالوا لا يمكن أن يكون الحزن سيراً أو سبباً للسير الى الله تعالى، ولكن العلماء الذين قالوا بأن الحزن باب أو منزل، به يكون السير الى الله تعالى، لهم أدلتهم واسبابهم، وعلى رأس تلك الأدلة قوله تعالى " وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ "[3] ومن تفسيرهم لهذه الآية المباركة، ينطلق أهل العرفان والسير والسلوك في بيان حال الحزن التي يمرون بها في منازل سيرهم الى الله تبارك وتعالى، يقول البقلي في تفسير الآية أن الله تعالى " بيّن أن البكاء من الحزن، هو بكاء المريدين، لان بكاء العارفين والمحبين من الفرح بالله "[4].

[1] سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

[2] سورة آل عمران الآية ١٧٦ .

[3] سورة التوبة الآية ٩٢ .

[4] تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي.

ومن أجمل ما قيل في تفسير هذه الآية المباركة هو ما قاله الشعراوي في تفسيره حيث قال: " أما الذي يجد ما ينفق، ولا يجد الوسيلة التي تنقله إلى ساحة القتال فعليه أن يذهب إلى وليّ الأمر ليسأله الراحلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قائد الجهاد في حياته، فإن قال لأحد: ليس عندي ما أنقلك عليه إلى مكان القتال، فهذا إذن بالقعود، لكنه إذن لا يكفي لرفع الحرج عنه، بل يجب أن يعلن بوجدانه انفعاله في حب الجهاد، وحزنه على أنه لم يكن مع الذين يجاهدون. ولذلك قال الحق: { تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنْفِقُونَ } وكلمة " تفيض أعينهم " توضح ما في قلب هؤلاء المؤمنين والفيض دائماً للدموع، والدموع هي ماء حول العين يهيجه الحزن فينزل، فإذا اشتد الحزن ونفد الدمع وجمدت العين عن البكاء، يؤخذ من سائل آخر فيقال: " بكيت دمًا ". وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يبين لنا شدة حزن المؤمنين على حرمانهم من الجهاد، فلم يقل سبحانه وتعالى: " فاضت دموعهم "، ولم يقل: " بكوا دماً بدل الدموع "، وإنما قال: {وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ }، فكأن العين ليس فيها ماء، ولا دم، ولم يعد إلا أن تفيض العين على الخد، وذلك إظهار لشدة الحزن في القلب،

وهذا المجاهد لا لوم عليه ولا ذنب لأنه فعل ما في وسعه وما في طاقته وعبر عن ذلك بحرقة مواجده على أنه لم يكن من أهل الجهاد"[1].

يقول أهل العرفان ان الحزن لا يكون إلّا على فائت، والفائت الماضي لا يرجع أبداً، فإذا رجع ذِكْرهُ، أعقب هذا التذكر حُزن في قلب العبد، ويذهب ابن عربي الى هذا المعنى في أن الحزن بَدَهِيٌّ الملازمة لكل عابد لله، فيقول :

" وليس في الوسع الإمكاني تحصيل جملة الأمر فلا بد من فوت فلا بد من حزن "[2] ويتساءل ابن عربي قائلاً :" فهل ما طلب منا نعجز عنه أو لا نعجز ؟ "[3] وهو يقصد إن ما أوجبه الله تعالى على عباده لابد أن يكون داخلاً في الإمكان لأن الله لا يُعجِّز عباده لحكمته، ويقول: " ومحال أن يطلب منا ما لم يجعل فينا قوة الإتيان به ويمكننا من ذلك فإنه حكيم "[4] وحين يعجز الانسان عن أداء ما يستحقه الله من عبادة، ويفوته الكثير منها فلابد إذن من الحزن،

---

[1] تفسير خواطر محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩ هـ)

[2] الفتوحات المكية الباب الرابع بعد المائة ص٢٨٠ من الجزء الرابع من الكتاب .

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه.

يقول ابن عربي: " فمن كان هذا مشهده فلا يزال حزنه دائماً أبداً، وهو مقام مستصحب للعبد مادام مكلفاً "[1].

إذن فملازمة الحزن في عُرفِ أهل السلوك والعرفان، يكشف عن مقام خاص يصله المريد، وأما البكاء فهو حالٌ وجدانية عظيمة، يُعبّر بها عن الشوق والعشق والتفاعل الروحي مع أوامر الله تعالى، وهناك فرق بين الحال والمقام، فالمقام ملكة والحال تأثر، والملكة كما هو معلوم أكثر رسوخاً من الحال، يقول ابن الدباغ :" اعلم أن المقام عند المحققين هو الملكة الثابتة لما يتازله السالك من الصفات، والحال عندهم عبارة عن تأثر القلب بالواردات من المحبوب، إلا أن ذلك سريع الزوال، ولهذا قالوا: (ألفُ حالٍ لا يحصل منها مقامٌ واحدٌ) والاعتماد في السلوك على المقامات والملكات لا على الأحوال "[2].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ ص ٦٧.

ومما سمعته من آية الله السيد علاقه بند[1] في مسجد مير جقماق، لا أعرف إن كان قد نقله نقلاً أو من كلامه : " إن من فرائد الحكمة أن يمتلئ قلب العبد من حب الطاعة، فإذا فاض عملت الجوارح على قدر ما رأت من القلب، فربما كانت الجوارح في العبادة والقلب في البطالة، فإن قيل كيف عبادة القلب دون الجوارح ؟ وكيف يفيض القلب بالعبادة إلى الجوارح ؟ أُجيب : أن يصير القلب وعاءً للهمّ والحزن، والتواضع والخوف، والاضطرار الى الله عز وجل، فإذا عامل الله على هذا بقلبه، هاجت الجوارح بمثل ما رأت من القلب، فانبعثت على الطاعة ".

ويفسر أهل السلوك والعرفان الحزن بأنه " توجُعٌ لِفائتٍ أو تأسُفٌ على ممتَنِعٍ " [2] وقال آخر إن الحزن هو " الإنخلاع عن البطر وهجر الملذات وملازمة الكآبة ".

ويُصَنِّف أهل السلوك والعرفان الحزنَ درجاتٍ، فالدرجة الأولى من الحزن هو حزن العوام وهو للتقصير في الطاعة والوقوع

---

[1] آية الله السيد علاقه بند من كبار العلماء المجتهدين في مدينة يزد، وكان معروفاً بالزهد والتواضع وهجر الدنيا وملذاتها، وكان يؤم المصلين في مسجد أمير جقماق وهو من اقدم مساجد مدينة يزد، توفي رضوان الله عليه في ٣٠ من ربيع الأول عام ١٤٤٣ هـ .

[2] كتاب منازل السائرين لأبي إسماعيل الأنصاري الهروي.

في مهلكة المعصية والبعد عن الله تبارك و تعالى وضياع العمر في القيل والقال والغرور والجدال، والدرجة الثانية من الحزن هو حزن أهل الطاعة والإرادة، فهؤلاء تنبعث نفوسهم على التفكر في المخلوقات، وعظمة صنع الله وإبداعه فيها فينكشف لهم جمالها، فتسرح نفوسهم بحب ذلك الجمال، وينسون حب الله تعالى خالقها وصانعها، فتستسلم نفوسهم الى عبادة تلك المخلوقات لانكشاف عظمة جمالها لهم، فيخرجهم الشيطان من عبادة الله الى عبادة مخلوقاته، فإن تنبه المحظوظ منهم، سينهي حياته في الحزن والبكاء فيكون حزنه بمثابة العبادة التي يمحو بها ذلك الارتداد المعنوي.

وأما الدرجة الثالثة من الحزن فهو حزن الأنبياء والأولياء، حيث يشتد حزنهم على أممهم، كحزن رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي أشار اليه قوله تعالى " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً "[1] وقوله تعالى"قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ"[2] وهذا الحزن النبوي يؤكد خبر حزن الإمام الحسين عليه السلام

---

[1] سورة الكهف الآية ٦ .

[2] سورة الأنعام الآية ٣٣ .

لقاتليه، وتدمع عيناه لدخولهم النار بسببه، وهو خبر وإن رواه البعض مرسلاً، إلا إنه يتفق مع مضمون الآية المباركة في قوله تعالى: " أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "[1]..

لم يكتفِ أهل السلوك والعرفان في الحظِّ على الحزن، والدفاع عنه بوصفه منزلاً من منازل السائرين، بل إن السيد كاظم الحائري ذهب بعيداً وعدّ الحزن، آية الإيمان، وسبباً لدفع العبد الى مزيد من الكمال، والابتعاد عن الميوعة والبطر، فهو يقول في كتابه - تزكية النفس - " وعلى أية حال، فهو آية الإيمان، وعلامة الشوق إلى الخير والى الله سبحانه وتعالى، ويسبب دفع الإنسان دائماً إلى جهة الكمال .

ومن فوائده في موارد إمكان التدارك، البعث إلى التدارك، ومن فوائده أيضاً دفع السرور الزائد الذي يميت القلب، ويبعث إلى التميّع وعدم المبالاة في أقل تقدير، ويسبب الأشر والبطر، وذلك

[1] سورة فاطر الآية ٨ .

من المهلكات "[1] . وكما هو معلوم إن من المظاهر الخارجية للحزن هو البكاء والخوف وهما مما حظَّت الروايات عليهما، ففي الوسائل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: " ومَنْ ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكلّ قطرة قطرت من دموعه قصرٌ في الجنّة، مكلّلٌ بالدرّ والجوهر، فيما لاعين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر "[2]. ولدفع الإستغراب من هذا الثواب العظيم الذي ذُكِر في الرواية، فسر السيد كاظم الحائري ذلك بنقطتين، قائلاً : " أولاً . إن البكاء يكشف عن التحوّل العظيم في نفس الباكي، والتفاعل الكامل مع الله سبحانه وتعالى ومع أوامره ونواهيه.

ثانياً . ما يترتّب على البكاء من الاقتراب العاطفي الكبير من الله جلّت عظمته، وخرق حُجُب النفس ممّا يؤدّي إلى تركّز التفاعل مع الله في النفس أكثر من ذي قبل "[3].

وللحزن عند أهل السلوك والعرفان أقسام كثيرة :

١ . الحزن في الأبواب هو على التقصير في الطاعة.

---

[1] كتاب تزكية النفس لآية الله العظمى السيد كاظم الحائري ص ٣٠٢ .

[2] كتاب الوسائل ج ١٥ ص ٢٢٣ الباب ١٥ من جهاد النفس الحديث ١ .

[3] كتاب تزكية النفس لآية الله العظمى السيد كاظم الحائري ص ٣٠٥ .

٢ . الحزن في المعاملات هو على تعلق القلب بالغير والسوى.

٣ . الحزن في الأصول هو على سوء الأدب مع الله ونسيان حقه.

٤ . الحزن في الأخلاق هو توجع الباطن على فقدان الملكات الفاضلة.

٥ . الحزن في الأودية هو على الجهل ودناءة الهمّة.

٦ . الحزن في الأحوال هو على فقدان الوجد ولوعة الشوق والسلو عن المحبوب.

٧ . الحزن في الولايات هو على فقدان التمكّن عند حدوث التلوّن.

٨ . الحزن في الحقائق هو التحزّن عن الإحتجاب بالصفات عن شهود الذات.

ولا يخفى أن من صفات الأولياء والصالحين، هي صفة الخوف الدائم من سوء العاقبة وضياع الإيمان، والانحدار الى الكفر والبعد عن الله، وذلك يورث هماً وحزناً، ولهذا عدَّ البقلي " الخوف والحزن واحداً أو متلازمين " وذلك إنما جاء بشبهة أن كليهما يشتركان في تألُّم الباطن، إلا أن الحزن كما هو معروف على ما فات، والخوف مما هو آتٍ، وبهذا المعنى يقول القشيري " الخوف معنى متعلقه في المستقبل لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه، أو يفوته محبوب " [١].

---

[١] الرسالة القشيرية باب الخوف ص ٢١٢ للقشيري.

الخلاصة

إن الكلام عن الحزن والإطلاع على بعض تفاصيله وأحواله عند أهل السير والسلوك، قد يتوهم البعض بأن يرجع أحزان الأنبياء والأئمة المعصومين وبالخصوص حزن الامام زين العابدين (ع) الى هذا النوع من اسلوب التعبّد، فالأنشطة العبادية على طريقة أهل السير والسلوك التي سادت في المجتمع الإسلامي، ابتداءً من القرن الثاني للهجرة، كثيراً ما كان علماء السير والسلوك يعدّونها طرقاً مستوحاةً مما نُقل عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أو من حفيده الإمام زين العابدين عليه السلام، ربما يكون كلامهم فيه شيءٌ من الحقيقة، لكن قطعاً ليس بالمعنى الذي ذهبوا اليه، وانما غاية الأمر هو أن هناك تأثيراً كبيراً لحزن الإمام علي بن الحسين عليه السلام على المجتمع الإسلامي، فإن إشاعة هذا الاسلوب العبادي المرهف، أراد به الامام إرجاع الأمة الى العبادة المفعمة بالعاطفة والروحانية، تلك الروحانية التي غابت عن توجه المسلمين في عبادتهم لله تبارك وتعالى، من جراء سياسات الحكم الأموي التضليلية، التي حملت معول الهدم على القيم الأخلاقية والعقائد الحقّة.

إن الأجواء المادية التي أشاعها البلاط الأموي في حياة الأمة، لم يكن مجرد قرارٍ ارتجالي عابر، وإنما هو مرحلة من مراحل هدم الدين ومحاولة إطفاء نور الله، والتي ابتدأت بقتلهم للإمام الحسين عليه السلام، ومحاصرة الإمام زين العابدين، وتعمد تغييبه عن مسرح الحدث الدعوي في حياة الأُمة، والذي أدى الى إنهيار في الجانب العقائدي والأخلاقي، وابتعاد الناس عن دينهم.

وبالرغم من ذلك كله، نجد التأثير الذي خلّفه الإمام زين العابدين عليه السلام في نشأة جيل من العبّاد، كلهم يدّعي تقليده لتلك الروحانية والانقطاع الكامل لله والذي تميزت به عبادة الامام زين العابدين عليه السلام، وقد عدّ العارف محي الدين بن عربي الإمامَ زين العابدين (ع) القطب السادس بتسلسل الأقطاب الروحانيين للمعرفة الصوفية السلوكية حيث يقول: "وعلى آدم أهل البيت المنزه عنه كيت وكيت، روح جسد الإمامة، شمس فلك الشهامة، مضمون كتاب الابداع، جل تعمية الاختراع، سر الله في الوجود، انسان عين الشهود، خازن كنوز الغيوب، واقف أمور المحب والمحبوب، مطلع نور الإيمان، كاشف سر العرفان، الحجة القاطعة، والدرة اللامعة، ثمرة شجرة طوبى القدسية، أزل الغيب وأبد

الشهادة، السر الإلهي في ست العبادة، وتد الأوتاد، رزين العباد، إمام العالمين، ومجمع البحرين علي بن الحسين عليه السلام "[1].

نكتفي بهذا المقدار من البيان والحمد لله رب العالمين

---

[1] كلام العارف الشيخ محي الدين بن عربي - المطبوع في آخر كتاب (شرح صلوات چهارده معصوم - وسيلة الخادم إلى المخدوم) للشيخ فضل الله بن روزبهان الإصبهاني

الفصل الثاني

ـ الأبعاد الروحية في حزن الإمام زين العابدين (ع).

ـ الإمام السجاد وأحزان الدنيا.

ـ حزن الإمام السجاد وبكاؤه في الدعاء.

ـ دور الحزن في بقاء التشيّع.

ـ الإمام السجاد (ع) ووسائل الاتصال بالأمة.

ـ هل حقق الحزن السجادي أهدافه.

ـ أقوال العلماء والمؤرخين في الإمام زين العابدين عليه السلام.

الأبعاد الروحية لحزن الإمام زين العابدين (ع)

لا يخفى أن الكثير من الآيات القرآنية المباركة تدل على أن الله لا يريد لنا أن نحزن، ولا يريد لنا أن نفرح، بل ولا يريد لنا أن نُعبّر عن الكثير من المشاعر التي تكون دوافعها والباعث اليها غرض دنيوي شيطاني، قال تبارك وتعالى في الذكر الحكيم :" وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "[1] وجاء كذلك في القرآن قوله تعالى: " إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "[2] وقد ورد في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: " مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً "[3] وقال الإمام علي عليه السلام ذاماً الفرح لملذات الدنيا : (مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ..)[4].وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: "[5] كان عَلي بن الحُسَين إذا

---

[1] سورة آل عمران الآية (١٣٩).

[2] سورة آل عمران الآية (١٥٣).

[3] نهج البلاغة قصار الحكم - الحكمة (٢٢٥).

[4] الخطبة (١١٣) من نهج البلاغة في ذم الدنيا.

[5] تاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٣٧٩ .

ذكر هذا الحديث – يعني حديثاً في ذكر الموت – بكى حتى يرثي له كلُّ صديق".

أما إذا كانت دوافع الحزن جزءًا من مسيرة الإنسان في عبادة الله تعالى، والدعوة الى نشر دينه ولزوم طاعته، فبالتأكيد سيؤجر على كل ما يظهره من تفاعل روحي وإنساني ... رويَ عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ – عليهم السّلام – قال[1]: " إنّ يهوديًا من يهود الشّام و أحبارهم قال لأمير المؤمنين – عليه السّلام–: فإنّ هذا داود، بكى على خطيئته حتّى سارت الجبال معه لخوفه. فقال له عليّ – عليه السّلام–: لقد كان كذلك. و محمّد – صلّى اللّه عليه و آله – أعطي ما هو أفضل من هذا. إنّه كان إذا قام إلى الصّلاة، سُمع لصدره و جوفه أزيزٌ كأزيز المرجل على الأثافي، من شدّة البكاء".

فكيف إذن لا يحزن الأنبياء والمعصومون، والحزن واحد من المشاعر الإنسانية التي وهبها الله لابن آدم، كيف لا يحزنون وتبتلُّ لحاهم بالدموع، وهم ينظرون الى حال شعوبهم وأممهم يستولي

---

[1] تفسير كنز الدقائق ج٨ ص٤٤٨ .

عليها الشيطان، وينزغ في صدور هذا الكم الكبير من الناس، لتنقلب موازين الحق والعدل عندهم، فتُنتَهك الأعراض، ويُعتدى على حرمات الناس في أموالهم وأنفسهم، وجرهم الى الانحراف والابتذال ومساوئ الأخلاق ؟!

يقول الإمام علي (ع) " إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا .. "[1] وَ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ[2] : " إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى اَلرَّجُلِ مِنْكُمْ زَمَانٌ لاَ يُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ مُبْتَلًى بِهَمِّ اَلْمَعَاشِ. وَ قَالَ إِنَّ اَللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ .وَ سُئِلَ أَيْنَ اَللَّهُ فَقَالَ عِنْدَ اَلْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ.

لم يكن الإمام زين العابدين عليه السلام إلّا واحداً من هذه المسيرة الإلهية للأنبياء والمعصومين، يرى تراث جده رسول الله (ص) يُحَرَّف، ويستولي على الأمة شرار الخلق من المنافقين، الذين وصلت الحال بهم أن لا يخفون كفرهم وانحرافهم، فيزيد اللاعبُ بالقرودِ الشاربُ الخمر، يُعسكر العساكر، ليجتث آل بيت رسول

[1] الخطبة (١١٣) من نهج البلاغة في ذم الدنيا.

[2] بحار الأنوار ج٧٠ ص١٥٧ .

الله، فيقتل رجالهم ورضعانهم، ويأسر نساءهم ويسير بهن البلدان مكبلات بأصفاد الحديد .. وهو ينهق شعراً ويقول :

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   جزعَ الخزرج من وقع الأسلْ[1]

---

[1] *) الابيات ليزيد بن معاوية الاموي المتوفى سنة ٦٤هـ انشاها حين ادخل الراس الشريف عليه ونعق الغراب انذاك. وقيل ان هذه الابيات ليست ليزيد وانما هي لابن الزبعرى (الشاعر الجاهلي) وتمثل بها يزيد كما في أدب الطف: ٢٤٧/١ عن سيرة ابن هشام ١٤٣/٣: ومثير الاحزان: ١٠١.

والذي يمكن قوله: انه وقع خلط في نقل اشعار ابن الزبعرى ويزيد بن معاوية ولذلك اختلف المؤرخون، فمنهم من نسب الابيات الى يزيد ومنهم من قال: انه تمثل باشعار ابن الزبعرى، ولكن الذي يظهر ان يزيداً استخدم بعض ابيات ابن الزبعرى في مقطوعته هذه النوع من التطعيم كان ولا زال دارجًا بين الشعراء، ولو راجعنا اشعار ابن الزبعرى لوجدناها خمسة عشر بيتًا اولها: «يا غراب البين ما شئت فقل» واخرها « بسيوف الهند تعلو هامهم». والظاهر ان يزيداً اخذ الابيات الثلاثة الاولى في مقطوعته هذه من ابن الزبعرى وضمّن البيت الثامن من مقطوعته معنى البيت الثالث عشر من أبيات ابن الزبعرى، كما يظهر من هذه الابيات أنها ليزيد، حيث ان فيها دلالات واضحة على انها له، وان ضمنها قسمًا من ابيات ابن الزبعرى. ويؤيد هذا ما جاء في التذكرة ان يزيداً تمثل بابيات ابن الزبعرى وذكر بيتين منها، وهما الثالث والثامن من الذي ذكرناه في المتن، ثم نقل الشعبي وزاد فيها يزيد فقال، وذكر البيتين السادس والخامس مما ذكرناه في المتن.

واما ابيات ابن الزبعرى المتوفى سنة ١٥هـ التي انشاها في حرب أُحد حين قتل من المسلمين جمعًا كثيرًا وهزموا فنوردها ادناه، وقد نقلناها من ناسخ التواريخ: ١٣٨/٣ ليتبين تشطير يزيد ابياته بابيات ابن الزبعرى:

ياغراب البين ما شئت فقل   إنما تنعق أمرا قد فعل

أن للخيـــــر وللشر مـدى   و سواء قبر مثر ومقل

لأهلّوا واستهلّوا فرحًا   ثم قالوا يا يزيدُ لا تُشَلْ

قد قتلنا القرم من ساداتِهم   وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتدلْ

لست من عتبة إنْ لم انتقم   من بني أحمد ما كانَ فعلْ

إن حزن الإمام زين العابدين لم يكن مطلقًا حزنًا سلبيًّا دنيويًّا، فالذين يُقَتَّلُ رجالهم ويُمارس معهم كل ذلك الإذلال، وهم في أعلى مراتب الشموخ والقوة والثبات، بل وتصدح أصواتهم بكلمات عقيلة الهاشميين زينب بنت علي عليهما السلام، وهي ترد على شماتة ابن زياد والي الأمويين على الكوفة بقولها " ما رأيتُ الا جميلاً "[١] ، هؤلاء لا يمكن أن تكون دوافعهم للحزن مجرد ثورة عاطفية، ولو كانت كذلك لما استمرت كل تلك السنين الطوال، فالعاطفة لها زمن

كل خير و نعيم زائل	و بنات الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسان عني آية	فقريض الشعر يشفي ذا العلل
كم ترى في الحرب من جمجمة	وأكف قد ابينت و رجل
و سرابيل حسان سلبت	عن كماة غودروا في المنتزل
كم قتلنا من كريم سيد	ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع	غير رعديد لدى وقع الأسل
فسل المهراس من ساكنه	من كراديس وهام كالحجل

[١] "ما رأيت إلا جميلاً" قالتها السيدة زينب رداً على سؤال "ابن زياد" لها عندما سألها من موقع "القوة" التي يظن أنه يمتلكها حينئذ-، "كيف رأيت صُنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

ووقت يضعف تأثيرهما يومًا بعد يوم، وإن لم تنته وتزول فبالتأكيد ستضعف، هذا يعني إن حزن الإمام زين العابدين (ع) يحمل أهدافًا روحية توجيهية للأمة، هذه الأمة المغلوب على أمرها، هذه الأمة التي هو إمامها وحامل مسؤولية دعوتها الى عبادة الله تعالى، والسير بها الى الخير والصلاح ..

لم يترك الإمام مناسبة إلا وذكّر الناس بمظلومية الحسين عليه السلام ،فعن الإمام اَلصَّادِقُ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ قال[1] : بَكَى عَلِيُّ بْنُ اَلْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا اَلسَّلاَمُ عِشْرِينَ سَنَةً وَ مَا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلاَّ بَكَى حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ اَلْهَالِكِينَ - "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اَللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اَللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، إِنِّي لَمْ أَذْكُرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلاَّ خَنَقَتْنِي اَلْعَبْرَةُ " .كان لابد من أن يتخذ الإمام زين العابدين طريقاً هادئاً للتعبير عن المعارضة، وأسلوباً حكيماً لصنع معارضة بعيدة المدى، تخترق الزمان والمكان، وتحيل الأيام كلها عاشوراء، والأرض كلها كربلاء، لكن دون أن يستفز السلطة والجبروت

[1] بحار الأنوار ج٤٦ ص١٠٨ .

الأموي، فقضية الإمام (ع) تحتاج الى الوقت الكافي والبعيد عن التوتر والشد، والأمة بعد مقتل الحسين عليه السلام كانت بحاجة الى أن تأخذ الوقت اللازم، للتزود من الإمام المعصوم (المفجوع بقتل أبيه)، ما فقدته بسبب هول المصاب، الذي أفرغ قلوبهم من المعاني الروحية في عباداتهم وتوجههم في أداء الطاعات، إن مقتل الحسين عليه السلام نخر جدار الصد الروحي لأفراد الأمة الاسلامية كلها، وجعل عباداتهم أقسى من الحجر، لا تعدو عن كونها إسقاط واجب خالية من الروح، هذا غير الذين هجروا طريق الدين وارتدت نفوسهم على الأعقاب، ولم يعد لهم ثقة بالخالق العظيم، الذي لم يكونوا يتصوروا أن يؤخر نزول العذاب على بني أمية بعد فعلتهم الشنعاء، بالتجاوز على حرمات رسول الله وريحانته الحسين، حتى قال أحدهم والعياذ بالله " إن الخالق الذي يغضب لعقر ناقة، ويُنزل شر العذاب على قوم صالح، ولا يغضب لإمامٍ نص على وجوب طاعته .. لا اظن انه أهلاً للعبادة " ..

وبالرغم من تصدي الإمام زين العابدين لهذه الظاهرة، لكنها للأسف استمرت ولو بشكل اخف الى زمن الإمام الرضا عليه السلام، حيث ورد عن الهروي في خبر طويل عن الرضا عليه

السلام، في نفي قول من قال إن الحسين عليه السلام لم يقتل، ولكن شبه لهم، قال عليه السلام : "والله لقد قتل الحسين عليه السلام،وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين، والحسن بن علي، وما منا إلا مقتول، وإني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، أخبره به جبريل عن رب العالمين عز وجل"[1].

إن هذا القول لم يكن مجرد قول صدر من إعرابي منفلت في خيمة من خيام البادية، بل هذا المنطق كان تياراً جارفاً كاد أن يوقع بالإسلام المحمدي برمته .. فكيف سيكون موقف الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو يرى هذا التيار الفكري الارتدادي يشق طريقه في مدينة رسول الله (ص) ؟

إن تأسيس الإمام زين العابدي (ع) لـ (عبادة) الحزن، لم يكن بالحقيقة تأسيساً بعيداً عن المنهج القرآني، فالقرآن يمدح العبد الذي تفيض عيناه بالدموع حزناً، يقول الله تبارك وتعالى :" وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا

[1] عيون اخبار الرضا (ع) ج٢ ص٢٠٣ .

وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ "[1] إن الآية المباركة تقول إنهم تولوا، لكنهم عبدوا الله بشعيرة أخرى غير الجهاد الذي عجزوا عن توفير جهازه وهي شعيرة الحزن، فالحزن إذن من شعائر الله التي لم يدعُ الله الناس اليها، لكنه أشار الى عظمتها ودفع العباد الى التزامها، ليتمكنوا من توثيق العلاقة بالله العزيز، وتعزيزاً لهذا الكلام ورد عن الامام علي (ع) قوله[2] "إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ ".

لا يخفى أن الحزن هو حزن الروح، والقلب مكانه والدمع إعلانه ومظهره، فالذي يعيش أجواء الحزن الروحي، وهو يستمع لكلام الله تعالى، ليُعد من أجمل ما يتقرب العبد به الى الله، ولذلك نرى القرآن يمدح هذا الحزن ويعده جزءاً لا يتجزأ من الارتباط الروحي بالله تعالى، يقول الله تبارك وتعالى في محكم الذكر المجيد " وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا

---

[1] سورة التوبة الآية (٩٢) .

[2] الخطبة (٨٧) من نهج البلاغة .

عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ "[1] نعم لقد آمنت قلوبهم عندما بكت أرواحهم وهم يستمعون الى كلام الله تعالى، كان ممكناً أن يؤمنوا وأن لا تفيض عيونهم، وتبقى قلوبهم متحجرة لا تأخذ حصتها من رحمة الله، تلك القطعة من الرحمة التي يُثبتها الله في قلوب عباده، لتكون ضماناً روحياً لهم تجنبهم النفاق والعودة الى الكفر .. فلطالما دخل الإسلام الكثير من الناس، بل ونحن اليوم بعد كل هذه القرون التي تفصلنا عن زمن نزول القرآن، أكرمنا الله تعالى بالإسلام، لكن الكثير منا بل الجزء الأعظم من المسلمين، أسلمت عقولهم، ذلك لأنهم لا يستطيعون تكذيب العقل الذي أثبت صحة دينهم، لكن للأسف، لم تُسْلِمْ أرواحهم التي هي أحوج ما تكون الى الحزن (السجادي) الذي يُعلِّم الأرواح كيف تلزمُ الدين وتُسْلِمُ بالإسلام المحمدي، الذي يؤدي العبد فيه عباداته وطاعاته، وعيونه تفيض من الدمع ..

إن شعيرة الحزن الروحي التي بعث الحياة فيها الإمام زين العابدين، وأعاد الأمة اليها بعد أن هجرتها، بخلوّ الساحة الإسلامية من رجال علي بن ابي طالب (ع)، كعوف البكالي وسلمان الفارسي

---

[1] سورة المائدة الآية (٨٣)

وكميل بن زياد، أولئك العظماء الذين كانو بمثابة مرآة الحزن العلوي...

لذلك نحن عندما نقرأ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو الإمام مفترض الطاعة، يتجول بين أزقة المدينة وأسواقها ويبث أحزانه بكلمات يختارها بكل دقة وروية، ليكون وقعها شديداً مثيراً للحزن في نفوس المسلمين، ووسيلة إرشادية تبعث الحياة في الجوانب الروحية في توجههم الى الله تعالى، وتذكرهم بالعدل والإنصاف وأيام الله .. هذا يعني إن الإمام كان يحمل رسالة في غاية الخطورة، ترتكز عليها كل الرسالات السماوية، فرسالة الإمام زين العابدين هي إعادة الروح لعبادات الناس، التي كادت أن تتحول الى مجرد حركات وافعال متحجرة خالية من العاطفة.

إن الإمام زين العابدين عليه السلام علّم الناس العودة الى البكاء في حضرة الله، البكاء في الدعاء والبكاء في الطواف والبكاء في حضرة قدس الصلاة، كان يريد ان يُعلم الناس أن فراق يوسف الذي أبكى يعقوب، إنما كان سبباً لمن لا يأنس الا بالأسباب المادية، وإلا فإن يعقوب يعلم بحال يوسف، ويعلم أنه بعين الله

ورعايته ولو إجمالاً، لكنه جعل من قضية فقده سبباً لكسر القلوب المتحجرة، لعله يشق فيها عيوناً تعيد الحياة الى تلك القلوب القاسية، وتنبت العاطفة الروحية التي لا غنى عنها في مناجاة الخالق العظيم، الذي يحب حُزن العباد، عندما يكون حزناً هادفاً تفيض له الدموع حباً وشوقاً للقرب منه تعالى، فالمجتمع (اليعقوبي) وصل الى حالة من البعد الروحي ، كانت قمته تغييب يوسف في غياهب الجبّ، فاعلم أي قلوب تلك التي استولى عليها الشيطان وأحالها الى حجر طوعت قتل الأخ أخاه لمجرد حسد وغرور ..؟!

السجاد (ع) وأحزان الدنيا

قيل إن الأحزان في الدنيا تستجلبها ثلاثة أسباب، وهي أحزان مباحة ولا تضر دين المؤمن، وإن كانت في الحقيقة هي أحزان لأمور الدنيا، لكنها نابعة من حال إنسانية فطرية ليس أمام الانسان الطبيعي إلا الحزن لها، و اختصروا أسبابها الى ثلاثة أمور و هي :

اولاً . حزن على فراق الخليل والصاحب والحبيب.

ثانياً . حزن من ابتلى بالفقر بعد خسارة الأموال.

ثالثاً . حزن من يُثكل بولده أو بعزيز.

وعند النظر في هذه الاسباب الجالبة للحزن، لا تنكر ان الإمام السجاد (ع) قد أصيب بكل تلك الأسباب الثلاثة، لكنه سلام الله عليه لم يصرح، ولم يُنقل عمن عاصر الامام السجاد (ع)، ان حزنه كان لفقد المال، او مفارقة حبيب او حتى حزن المثكول بولده، فقد روي[1] أن الإمام كان قائمًا في صلاته فزحف ابنه محمد الباقر (عليه السلام)، وهو طفل، إلى بئر كانت في داره بعيدة

[1] إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات ج٤ ص٨١ .

القعر، فسقط فيها، فنظرت إليه أمه فصرخت، وأقبلت تضرب نفسها من حوالي البئر، وتستغيث به وتقول له :" يا ابن رسول الله، غرق والله ابنك محمد" . وكل ذلك لا يسمع قولها، ولا ينثني عن صلاته، وهي تسمع اضطراب ابنها في قعر البئر في الماء . فلما طال عليها ذلك قالت له جزعًا على ابنها:" ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت النبوة!"، فأقبل على صلاته ولم يخرج عنها إلا بعد كمالها وتمامها، ثم أقبل عليها فجلس على رأس البئر، ومد يده إلى قعرها، وكانت لا تنال إلا برشاء طويل، فأخرج ابنه محمدًا بيده وهو يناغيه ويضحك، ولم يبلّ له ثوب ولا جسد بالماء فقال لها : "هاك هو يا قليلة اليقين بالله" . فضحكت لسلامة ابنها، وبكت لقولها، فقال لها: "لا تثريب عليك، لو علمت أنني كنت بين يدي جبار، لو مِلْتُ بوجهي عنه لمال بوجهه عني، فمن ترين أرحم بعبده منه ؟ "! فمن هذا شأنه هل يمكن أن يحزن أو يبكي لموت ولد من أولاده بالحزن الذي نقل الرواة وصفه ؟! . نسأل الله ان يوفقنا للسير على منهجهم والتحلي بخلقهم والثبات على ولايتهم آمين يا الله.

نعم كان الإمام زين العابدين (ع) يعبر عن حزنه بمقتل أبيه الحسين (ع)، فهذه المصيبة أورثته حزناً عظيماً وبكاءً شديداً، فممّا

نقله المجلسي في البحار قال: " أشرف مولى لعلي بن الحسين (عليهما السلام) وهو في سقيفة له ساجدًا يبكي، فقال له:" يا مولاي يا علي بن الحسين، اما آن لحزنك ان ينقضي؟ "،فرفع رأسه إليه وقال:" ويلك – أو ثكلتك أمك – والله شكا يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حتى قال: ﴿يا أسفي على يوسف﴾ [1]، انه فقد ابنًا واحدًا وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي"، قال: "وكان علي بن الحسين (عليهما السلام) يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: اني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) فأرق لهم" [2].وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال[3]: " بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي (عليهما السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعامًا الا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: "جعلت فداك يا بن رسول الله اني أخاف عليك أن تكون من الهالكين"، قال: "إنما أشكو بثي وحزني إلى الله،وأعلم من الله

---

[1] سورة يوسف الآية ٨٤ .

[2] بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٩..

[3] المصدر السابق

مالا تعلمون، اني لم أذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني العبرة لذلك".

وحتى هذا البكاء على الحسين عليه السلام لم يكن بكاءً أو حزناً سلبياً يشبه أحزان الناس على مصارع أحبتهم، وإنما كان حزنه هادفاً، كان مما يريد به هو إظهار مدى الظليمة التي أصيب بها الإسلام بتسلط الطلقاء وأبناء الطلقاء على رقاب المؤمنين، وهذا في الحقيقة عمل تربوي يريد به الإمام ترسيخ حالة الرفض لكل ظلم وإنحراف قد يصيب الإسلام عبر العصور.

حزن الإمام زين العابدين وبكاؤه في الدعاء

إن الكلام في هذا الشأن قد يطول ويتفرع الى الكثير من المواضيع التي تشتمل عليها أدعية الإمام زين العابدين (ع)، فلا يخلو نص من نصوص الادعية التي وردت عنه سلام الله عليه في الصحيفة السجادية، إلا وفيه من العبارات ما ينفطر لها قلب المؤمن بكاءً ونحيباً، لذلك فلا يمكن أن نفْصل عمله هذا مع الله تعالى عن طريقته في تربية الأمة على لون من العلاقة مع الله، كانت قد أفِلَتْ بوفاة الكثير من المؤمنين من الصف الأول، ممن عاصر النبي (ص) والامام أمير المؤمنين عليه السلام، أمثال أبي ذر والمقداد وسلمان وغيرهم، ممن تربوا على يد النبي والإمام علي (ع)، وقد وردت الكثير من الروايات التي تصف حال الإمام (ع) أثناء توجهه في الدعاء والمناجاة وقد نُقل عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ أنه قَالَ[1]:" حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ، دَخَلْتُ مَسْجِدَ اَلْكُوفَةِ فَإِذَا شَابٌّ يُنَاجِي رَبَّهُ وَ هُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ - سَجَدَ وَجْهِي مُتَعَفِّراً فِي اَلتُّرَابِ لِخَالِقِي وَ حَقٌّ لَهُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ اَلْحُسَيْنِ فَلَمَّا اِنْفَجَرَ اَلْفَجْرُ نَهَضْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ تُعَذِّبُ نَفْسَكَ وَ قَدْ فَضَّلَكَ اَللَّهُ بِمَا

---

[1] كشف الغمة ج٢ ص٩٩ .

فَضْلَكَ،فَبَكَى ثُمَّ قَالَ :حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ إِلاَّ أَرْبَعَ أَعْيُنٍ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اَللَّهِ وَ عَيْنٌ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ وَ عَيْنٌ غُضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اَللَّهِ وَ عَيْنٌ بَاتَتْ سَاهِرَةً سَاجِدَةً يُبَاهِي بِهَا اَللَّهُ اَلْمَلاَئِكَةَ، يَقُولُ اُنْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رُوحُهُ عِنْدِي وَ جَسَدُهُ فِي طَاعَتِي قَدْ جَافَى بَدَنُهُ عَنِ اَلْمَضَاجِعِ يَدْعُونِي خَوْفاً مِنْ عَذَابِي وَ طَمَعاً فِي رَحْمَتِي اِشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ".

وعن حماد بن حبيب العطار الكوفي [١] أنه قال: " خرجنا حجاجًا فرحلنا من زبالة ليلًا، فاستقبلتنا ريح سوداء مظلمة، فتقطعت القافلة،فتهت في تلك الصحارى والبراري، فانتهيت إلى واد قفر، فلما أن جنني الليل، آويت إلى شجرة عادية، فلما أن اختلط الظلام، إذا أنا بشاب قد أقبل، عليه أطمار بيض، تفوح منه رائحة المسك، فقلت في نفسي: هذا وليٌّ من أولياء الله، متى ما أحس بحركتي خشيت نفاره، وأن أمنعه عن كثير مما يريد فعاله، فأخفيت نفسي ما استطعت، فدنا إلى الموضع فتهيأ للصلاة، ثم وثب قائمًا وهو يقول: يا مَنْ أحار كلَّ شيءٍ ملكوتا، وقهر كلَّ شيءٍ جبروتا، ألج

---

[١] كتاب فتح الأبواب ص ٢٤٦ .

قلبي فرح الإقبال عليك، وألحقني بميدان المطيعين لك." قال: "ثم دخل في الصلاة، فلما أن رأيته قد هدأت أعضاؤه وسكنت حركاته، قمت إلى الموضع الذي تهيأ منه للصلاة، فإذا بعين تفيض بماء أبيض، فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فإذا أنا بمحراب كأنه مثل ما في ذلك الموقف! فرأيته كلما مر بآية فيها ذكر الوعد والوعيد، يرددها بأشجان الحنين، فلما أن تقشع الظلام وثب قائمًا وهو يقول: يامَنْ قصده الطالبون فأصابوه مرشدا، وأمَّهُ الخائفون فوجدوه متفضلا، ولجأ إليه العابدون فوجدوه نوالا، فخفت أن يفوتني شخصه، وأن يخفى علي أثره، فتعلقت به، فقلت له: بالذي أسقط عنك ملال التعب، ومنحك شدة شوق لذيذ الرعب، إلا ألحقتني منك جناح رحمة، وكنف رقة؟ فإني ضال، وبعيني كلما صنعت، وباذني كلما نطقت، فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالًا، ولكن اتبعني واقفُ أثري، فلما أن صار تحت الشجرة أخذ بيدي فتخيل إلي أن الأرض تمد من تحت قدمي، فلما انفجر عمود الصبح قال لي: أبشر فهذه مكة، قال: فسمعت الصيحة ورأيت المحجة، فقلت: بالذي ترجوه يوم الآزفة ويوم الفاقة، من أنت؟ فقال لي: أما

إذا أقسمت علي فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم".

ومما رويّ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) – من مناجاة له تعرف بالصغرى –:" اللهم صلّ على محمد وآل محمد، واجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفاء، فأورثهم الصبر على طول البلاء، فقرت أعينهم بما وجدوا من العين، حتى تولهت قلوبهم في الملكوت، وجالت بين سرائر حجب الجبروت، ومالت أرواحهم إلى ظل برد المشتاقين، في رياض الراحة، ومعدن العز، وعرصات المخلدين"[1].

وعن الأصمعي قال – كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول :" نامت العيون، وعلت النجوم، وأنت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين"، ثم أنشأ يقول[2]:

---

[1] بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٢٧ .

[2] بحار الانوار: ٤٦ / ٨٠ / ٧٥. هذه الأبيات أنشدها الإمام زين العابدين (عليه السلام) ولم ينشئها، إذ أن البيت الأول والثاني والرابع منها عين ما ورد من شعر منازل الذي فلج نصفه وشل بسبب دعاء أبيه عليه عند البيت الحرام، ولما تضرع منازل إلى أبيه

يامن يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضروالبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيــت قاطبة وأنت وحـــدك يا قيوم لم تنم

أدعوك رب دعـاء قد أمرت به فارحم بكائي بحق البيت والحـرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنعم"

وعن طاووس اليماني: قال " رأيت في جوف الليل رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

"ألا أيها المأمول في كل حاجة شكوت اليك الضر فاسمع شكايتي

ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي"

فزادي قليل لا أراه مبلّغي أللزاد أبكي أم لطول مسافتي

بالعفو عنه وأقنعه بإتيان البيت الحرام ليستغفر له ونفرت به الناقة في الطريق وهلك، جاء منازل إلى البيت مستغيثا ومستجيرا، فكان من قوله في جوف الليل:

يامن يجيب دعا المضطر في الحرم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا يدعو وعينك يا قيوم لم تنم

هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي يامن أشار إليه الخلق في الحرم

إن كان عفوك لا يلقاه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنعم

فسمعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأغاثه وعلمه الدعاء المعروف بدعاء (المشلول).

أتيت بأعمال قباح ردية فما في الورى عبد جنى كجنايتي

أتحرقني بالنار يا غاية المُنى فأين رجائي ثم اين مخافتي

قال:" فتأملته فإذا هو علي بن الحسين"[1].

وقال: " دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل يصلي ما شاء الله تعالى، ثم سجد سجدة فأطال فيها، فقلت: رجل صالحٌ من بيت النبوة لأصغينَّ إليه، فسمعته يقول:" عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك". قال طاووس:" فوالله ما صليت ودعوت فيهن في كرب إلاّ فرج عني"[2].

وقال طاووس: " رأيته يطوف من العشاء الى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال: الهي غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في عرصات القيامة، ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك

---

[1] مستدرك الوسائل ج٢ ص١٤٣.

[2] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٠١.

جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني ؟ وبحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عني؟ فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين: جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي لم أتب، أما آن لي أن استحيي من ربي؟ ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى — فأين رجائي ثم أين محبتي

أتيت بأعمال قباح رديــة — وما في الورى خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال: "سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تُعْصَ، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة اليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم، ثم خرّ الى الأرض ساجداً فدنوت منه وشلت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالساً وقال: من ذا الذي اشغلني عن ذكر ربي ؟ فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع ؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون! أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله قال: فالتفت الي وقال:

هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان قرشياً، أما سمعت قوله تعالى (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ)[1] والله لا ينفعك غداً الاّ تقدمة تقدمها من عمل صالح "[2].

[1] سورة المؤمنون: ١٠١.

[2] المناقب لا بن شهر آشوب ج ٤ ص ١٥١.

دور الحزن في بقاء التشيع

إن مهمة صنع المفاهيم مهمة عسيرة، فليس من السهل أن نأتي بمفهومٍ ونتوقع ترسيخه في المجتمع دونَ أن نوطئ لذلك المفهوم بمجموعة من الممارسات، هذا بالإضافة الى أن المفاهيم التي يراد ترسيخها يجب أن لا تكون متعارضة مع المتبنيّات الفكرية للمجتمع، و إلا فنحن في الحقيقة ندعو الى المستحيل، لذلك نرى أن الدور الذي قام به الإمام زين العابدين(ع) في طريق ترسيخ مفهوم مركزية الثورة الحسينية في المجتمع الإسلامي، لم يكن دوراً يسيراً في ذلك الوقت، الذي لم يكن فيه أمام الإمام خيارات متعددة، يتاح له اختيار الطريقة التي تناسبه لتلك المهمة العظيمة، نحن عندما نؤكد على صعوبة المهمة، لسنا في الحقيقة ناظرين الى مهمة الإمام في ترسيخ مفهوم مركزية الثورة الحسينية، لدى العلماء والفقهاء و الخواص من قادة المجتمع و أقطابه، فهذا لم يكن أمراً صعباً، خاصة و ان الجميع ممن ذكرناهم مُقِرٌ بهذه الحقيقة، لكن الصعوبة التي نتحدث عنها هي نقل هذا المفهوم من الخواص الى العوام، و جعل القضية بمثابة الثقافة العامة، و دمجها ضمن التراث الشعبي للمجتمع. يقول آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (رض)

" إن دعوة التشيع (أعزها الله تعالى) . وإن تعهد الله عز وجل ببقائها . ظاهرة مسموعة الصوت، لتقوم بها الحجة على الناس، إلا أن الظاهر أن لفاجعة الطف أعظم الأثر في بقائها، رغم الضغوط الكثيرة التي تعرضت لها، وذلك لأن تفاعل الجمهور بالفاجعة واهتمامهم بإحيائها لا يتوقف على دفع الخاصة لهم – كرجال الدين أو غيرهم – وتشجيعهم إياهم، ليسهل على العدو القضاء عليها بتحجيم دور الخاصة، بالترغيب والترهيب، وصنوف التنكيل، حتى التصفية الجسدية، كما حصل ذلك قديماً وحديثاً، بل هي قد أخذت موقعها من نفوس الجمهور على اختلاف طبقاتهم، وتجذرت في أعماقهم، بحيث يهتمون بإحيائها بأنفسهم، ويندفعون لذلك بطبعهم، وكأنها جزء من كيانهم، ولا تزيدهم الضغوط في اتجاه منعها، أو التخفيف منها، إلا إصراراً وتمسكاً، حيث يرون فيها تعدياً على الحقيقة المضطهدة التي يؤمنون بها، وتحدياً لهم كأمة، وتجاهلاً لشخصيتهم، وجرحاً لشعورهم وعواطفهم، ونيلاً من كرامتهم، ولو اضطرتهم الضغوط للتوقف عن الإعلان بممارساتهم في إحيائها فلا يؤثر ذلك على موقعها من نفوسهم، وتفاعلهم بها، بل يزيدهم ذلك

تعلقاً بها، وانشداداً لها، ونقمة على الظالمين، مع الإصرار على إحيائها سراً بما يتيسر، ويضحون في سبيل ذلك بالغالي والنفيس.

وحيث لا يتيسر القضاء على أفراد الجمهور لكثرتهم، تبقى الجذوة كامنة في نفوسهم، والعواطف محتدمة، حتى إذا سنحت الفرصة تدفق المخزون العاطفي، فكان النشاط مضاعفاً، والفعاليات مكثفة، تعويضاً عما سبق، وتحدياً للظالمين، ولذا كان مصير الضغوط عبر التاريخ الفشل الذريع والخيبة الخاسرة، ولما كان إحياء هذه المناسبة الشريفة بمختلف وجوهها رمزاً للتشيع، وسبباً في رسوخ قدمه وتماسكه وتثبيت هويته - كما سبق - كان لاستمرار جمهور الشيعة فيه، وإصرارهم عليه بالوجه المذكور، أعظم الأثر في بقاء التشيع والحفاظ عليه، بل قد يكون هو الدرع الواقي له، والقلعة الحصينة التي تعصمه."[١] من هنا تتضح لدينا أهمية البكائية والحزن الشديد الذي كان يحمله الإمام زين العابدين عليه السلام، كرسالة من رسائل تربية المجتمع، على أهمية الارتباط بالقضية الحسينية بطريقة شعبية تتجاوز الارتباط الفكري، الذي قد لا يتسنى الا للخواص من النخب العلمية والفقهاء والدارسين، ومعلوم أن الطبقات

---

[١] فاجعة الطف \ السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم ص ٤٣١.

العامة من الناس لا يمكن أن تنجذب، الى التفاعل بهذا المستوى الذي أراده الإمام عليه السلام، إلا بتربية خاصة يكون الزخم العاطفي حاضراً فيها في أعلى مراتبه، وهذا ما يفسر إصرار الإمام أن يظهر حزنه ويُذكِّر الناس بتفاصيل حدثت في الطف تثير اشجانهم وعواطفهم.

الإمام زين العابدين ووسائل الإتصال بالأمة

إن أية قضية إصلاح ثورية تحتاج الى تثقيف اجتماعي نابع ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاجتماعي، و مستجيباً لعوامل النقص الملحة فيه، ليتسنى الحصول على تفاعل بالمستوى المقبول للسير بعملية الإصلاح الى تحقيق النتائج المرجوة منها، هذا بالإضافة الى احتياجها الى العنصر القيادي الذي يتولى مهام حركتها، والذي يشرف بشكل مباشر على وضع الخطط اللازمة لنجاحها، ومن أجل تحقيق ذلك لابد أن تتوفر حركة الثورة على وسائل اتصال بالمجتمع، تكون مناسبة لضمان وصولٍ أمثل الى الأمة، شرط أن يكون خاليًا من المخاطر، فمن الممكن أن تكون طريقة نشر الثقافة الثورية مستفزًا للسلطة الحاكمة، ما يؤدي الى إجهاض حركة الإصلاح الثورية وهي مازالت في المراحل الأولى لولادتها.

من هنا اعتمد الإمام زين العابدين (ع) على وسائلٍ للاتصال بالأمة تكون أقل استفزازًا لحكومة الطغاة من خلفاء بني أمية، وأقل خطورةً على المتلقين من أفراد الأمة في الأقاليم المختلفة، وقد تمثلت وسائل اتصال الإمام بالأمة بأربع طرائق هي الأقل كلفة، و الأكثر أماناً، و الأسرع وصولاً، و هذه الطرائق الأربع تمثلت بالتالي:

أولاً . اعتماد اللقاءات المباشرة و استثمار المناسبات كموسع الحج السنوي ومواسم العمرة التي عادةً ما تنشط، في شهر رجب و شعبان و رمضان، و في هذه المواسم كان الإمام زين العابدين (ع) يحرص على الحضور فيها، ليعقد اللقاءات بالوفود القادمة من الأمصار الإسلامية، ويستثمر تلك اللقاءات في تذكير الأمة بواقعة الطف، و ما جرى على الحسين و أهل بيته عليهم السلام، و إن كان مجرد ظهوره في تلك المواسم و إطلاع الناس على عظيم حزنه وبكائه على مقتل الحسين (ع) كافياً لاستذكار تلك الواقعة الأليمة.

إن إصرار الإمام زين العابدين على ترسيخ مبدأ(مركزية) قضية الحسين في الإسلام و وجوب استمرار استذكارها و الوقوف على أهدافها، ناشئٌ من أن قضيته مثلت الدعوة الإسلامية بكل أهدافها، فحركة الحسين هي بالحقيقة صورة مطابقة لحركة النبي (ص) في الأمة، إبان الفترة الأولى لنشر الدعوة بين الناس، فالظروف التي رافقت دعوة النبي (ص) في مكة هي ذاتها الظروف التي رافقت حركة الإمام الحسين في كربلاء، بل إن أعداء الثورة الحسينية هم ذاتهم أو الإمتداد الطبيعي لأولئك الذين جعلوا من أنفسهم أعداءً للنبي ودعوته صلى الله عليه وآله.

ثانياً . تواصله اليومي مع الناس، فهو سلام الله عليه لم يكن حبيس داره كما يروج لذلك البعض، بل كان يتجول في الأسواق ويقف على كل صغيرة و كبيرة في أسواق المسلمين و نواديهم، و يوظف كل حادثة[1] لمشروعه العظيم في خلق جيل من (الحسينيين) الموالين، الذين بنيت عقولهم وتكاملت شخصيتهم الفكرية على مبادئ الثورة الحسينية الداعية الى رفض الظلم و الانحراف الذي مثلته السلطة الأموية.

---

[1] ذكر ابن شهرآشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٦٦.كان إذا أخذ إناءً يشرب ماءً بكى، حتى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: "وكيف لا أبكي؟ وقد منع أبي من الماء، الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش".

وقيل له: إنك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: "نفسي قتلتها، وعليها أبكي".ومما روي أنه يخرج إلى السوق أحياناً، فإذا رأى جزاراً يريد أن يذبح شاة أوغيرها، يدنو منه، ويقول: "هل سقيتها الماء"؟ فيقول له: نعم يا ابن رسول الله، إنّا لا نذبح حيوانًا حتّى نسقيه ولو قليلاً من الماء، فيبكي عند ذلك، ويقول: "لقد ذُبح أبو عبد الله عطشاناً " لا يُذْبَحُ الكَبْشُ حَتّى يُسْقَى مِنْ ظَمَأً وَيُذْبَحُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ عَطْشانا.

وجاء في سيرة الأئمة الإثني عشرَ ج ٢ ص ١١٥. لهاشم معروف الحسنيّ : عنه أنّه دخل يوماً، فرأى غريباً، فسلّم عليه، ودعاه إلى بيته لضيافته، وقال له بحضور جمع من الناس: "أترى لو أصابك الموت وأنت غريب عن أهلك، هل تجد من يغسّلك ويدفنك"؟ فقال الناس: يا ابن رسول الله، كلّنا يقوم بهذا الواجب، فبكى وقال: "لقد قتل أبو عبد الله غريباً، وبقي ثلاثة أيّام تصهره الشمس بلا غسل ولا كفن"

ثالثاً . أدب الدعاء الذي اتخذه الإمام وسيلة للتواصل مع المسلمين في كل الأمصار الإسلامية، فما من دعاءٍ يسمعه الناس من الإمام عليه السلام، إلا وانتشر كالبرق في جميع مساجد المسلمين في بقاع الدولة الإسلامية كلها، و كان الإمام يحرص على شحن أدعيته بالمعاني الروحية التي تحمل اسباب ووسائل التربية، التي كان الإمام يريد بها إعادة تجميع العقل الاسلامي، بعد أن عاثت به الأحداث والكوارث في ظل الحكم الأموي الفاسد.

رابعاً . كان للإمام زين العابدين عليه السلام حضورٌ علميّ، حيث أسس في بيته مدرسة يُلقي فيها دروسه في الفقه و التفسير و الأخلاق وغيرها من المعارف، مما يمكننا اعتبار مجلسه العلمي هذا الانطلاقةَ الأولى لبثّ العلوم الدينيّة وفق رؤية أهل البيت عليهم السلام، فتكون مدرسة الإمام زين العابدين (ع) هي البذرة الأولى للتشيع على المستوى العلمي، والتي استمرت من بعده بجهود الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، فكان يلقي محاضراته وبحوثه على العلماء والفقهاء، اضافة الى ما كان يلقيه في كلّ جمعة من خطاب عامّ جامع على الناس، يعظهم فيه، ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في الآخرة . وقد تخرّج في مدرسته مجموعة كبيرة من

فطاحل العلماء والفقهاء، الذين اشتهروا بالرواية عنه عليه السلام. منهم على سبيل المثال[1]: أبان بن تغلب، والمنهال بن عمرو الأسديّ، ومحمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، وسعيد بن المسيّب، وأبو حمزة الثماليّ، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعلي بن رافع، والضحاك بن مزاحم الخراساني، وحميد بن مسلم الكوفي، وأبو الفضل الصيرفي، وعبد الله البرقي، ويحيى الطويل، وحكيم بن جبير، والفرزدق الشاعر(همام بن غالب بن صعصعة التميمي)، وفرات بن أحنف، وأيوب بن الحسن، وأبو محمد القرشي السدي، وقيس بن رمانة، وأبو خالد الكابلي، وعمر بن علي بن الحسين وأخوه عبد الله، وجابر بن محمد بن أبي بكر، ومن الصحابة كان جابر بن عبد الله الانصاري و عامر بن وائلة، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جهان، ومن التابعين كان محمد بن جبير بن مطعم، و القاسم بن عوف، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، وإبراهيم بن محمد بن الحنفية وأخوه الحسن، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو يحيى الأسدي، وأبو حازم الأعرج، وسلمة بن دينار المدني، ويروى أنّ سفيان بن عيينة، ونافع بن جبير، وطاووس بن كيسان،

[1] بحار الأنوار ج٤٦ ص١٣٣ .

ومحمّد بن إسحاق، قد أخذوا عن الإمام السجّاد عليه السلام بعض الأحاديث، وغيرهم، وهؤلاء كلهم كانوا يشهدون حزنه و بكاءه واستمرار تذكيره لهم بقضية عاشوراء وما جرى فيها، و ربما هذا الحزن كان أشد ما تختزنه عقولهم من مجالسة ابن الحسين قتيل العبرات، فكانوا بحكم موقعهم العلمي ينقلون للناس ما يشاهدونه من حزن الإمام وبكائه، ما ساعد ذلك على ترسيخ مفهوم مركزية الثورة الحسينية الخالدة في الفكر الإسلامي، على المستوى العلمي، و ترسيخها كقضية اجتماعية سياسية على المستوى التأريخي ...

وبذلك استطاع الإمام (ع) أن يتواصل مع الأمة بطريقة لا تستفز السلطة الأموية، في وقت لم يكن المجتمع الإسلامي مهيأً للصدام، خاصة وإن السلطة الأموية في تلك الفترة كانت في أوج قوتها، فهي لم تتورع عن قصف الكعبة بالمنجنيق، واستباحة مدينة رسول الله في واقعة الحَرَّة الأليمة، إضافة الى أن الإمام (ع) كان يؤسس للقطبية الإسلامية التي يمثلها أهل البيت عليهم السلام، في مواجهة القطبية الأموية التي عملت على هدم القيم الإسلامية الصحيحة، و استبدالها بما يتوافق مع توجهاتهم الاقصائية لآل البيت عليهم السلام.

هل حقق الحزن (السجادي) أهدافه ؟

لقد نجحت طريقة الإمام زين العابدين (ع) في دعوته المشفوعة بالحزن والبكاء في تحقيق الكثير من الأهداف السياسية والإجتماعية، ويمكن إجمالها بإختصار بالنقاط التالية :

أولاً . تربية الأمة وإعادتها الى الطريق الذي خطه لها النبي الاكرم (ص) وأهل بيته من بعده عليهم السلام، بخصوص روحانية إداء العبادات وتوجهها الفطري الصادق، بعد أن تحجرت القلوب بسبب ما تعرض له المجتمع الإسلامي من أزمات سياسية بسبب الحكم الأموي الظالم، والذي كان جزءًا من إعلامه هو العمل على إفراغ العبادات من أجواء الروحانية والأداء الفطري الرقيق . فدموع الإمام السجاد (ع) أشعلت ثورة من الرفض للحكم الأموي، الساعي الى إفراغ العبادات من العاطفة كمرحلة أولى تمهد لقلع العبادات من جذورها وإفراغ الدين من محتواه.

ثانياً . لم يترك الإمام زين العابدين (ع) مناسبة إلا وعبر فيها عن حزنه على مصرع الحسين ومصائب أهل البيت في كربلاء، وذلك لتذكير الأمة بالفاجعة وإفشال المخطط الأموي، الساعي الى إخفاء كل ما من شأنه تذكير المجتمع بجناياتهم، وعظيم خيانتهم للنبي صلى الله عليه وآله بقتلهم لآل النبي (ص) والهداة من صحابته،

ممن ناصر الحسين عليه السلام .ومما نقله الرواة في هذا الشأن قصة الامام زين العابدين عندما انفجر بالبكاء أمام قصاب مثلاً، يذبح شاته فيسقيها ماءً قبل ذبحها، وهذا الأسلوب أدى الى حضور واقعة الطف في ضمير الأمة، مما فضح الأمويين ودفع ذلك الى خلق أجواء الرفض والثورة حتى أشعلت الكثير من الثورات كلها تحمل شعار (يا لثارات الحسين).

ثالثاً . لقد أبعد الإمام زين العابدين (ع) شبهة الخطر التي كان الأمويون يحيطونه بها، وصوَّر لهم الإمام أنه مشغول بالبكاء والحزن على مصيبته، ومن هذه الحال لا يمكن توقع أن لديه مشروعًا ممكن أن يضر بالسلطة الأموية أو يسعى الى إسقاطها، مما وفر للإمام الأجواء اللازمة للمشروع التربوي الذي كان يسعى الى تحقيقه، وضمان إنقاذ الأمة الاسلامية من المشروع الأموي القاضي بهدم الإسلام المحمدي الأصيل، واستبداله بإسلام يرعى المصالح الأموية وسلطتها الغاشمة.

رابعاً . واحدة من مظاهر النجاح للمشروع (السجادي) هو التربة الحسينية، التي أصبحت ترافق المسلمين في حلهم وترحالهم، يسجدون عليها في صلواتهم ويستشفون بها حين مرضهم، وهو يعني أن قضية الحسين ومبادئ الثورة الحسينية أصبحت جزءًا لا يتجزّأ من صلاة المسلمين وسجودهم لله تعالى، وهذا لم يتأتَّ إلا

بمشاهدات كثيرة ومستمرة للإمام زين العابدين (ع) وهو يقبل التربة الحسينية، ويغرقها بدموعه ونحيبه.

خامساً . بدموعه وشدة بكائه ومظهره الحزين، نجح الإمام (ع) في خلق رمزية راسخة لا يمكن أن تنفصل عن حياة المجتمع الإسلامي، لقضية الطف والمبادئ التي قامت عليها الثورة الحسينية، مما جعل ثورة الحسين رمزاً لكل رفض وثورة، تدعو الى الإصلاح ونبذ الفساد والكفر والظلم، وهذه الرمزية ربما نجدها قد انتقلت حتى الى غير المسلمين، كما هو منقول عن أقوال مشاهير العالم من الثوار أمثال غاندي وغيره.

ومن ذلك نعلم يقيناً إن حزن السجاد (ع) وعمق تأثره و بكاءه الذي ملأت الآفاق أخباره، لا يمكن إن نصوره على إنه مجرد بكاء ابن بار على فاجعة مقتل أبيه، ففي مثل هذه الظروف تكررت كثيراً في التأريخ، لكنها مرت بهدوء ولم يقف عندها أحد، و إنْ ذكرَها المؤرخون، يذكرونها بنوع من الإجمال، بحيث لا يثير عند القارئ أي فضول للبحث عن التفصيل.

لقد كان البكاء والحزن سلاحاً فتاكاً لم يتنبه له الأمويون، مما عجل بسقوط دولتهم لكثرة الثورات والعصيان والتمرد، الذي حدث في أماكن متفرقة من أقاليم الدولة الإسلامية، وإن كان بعضها قد

اتخذ شعار نصرة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، كوسيلة من وسائل جمع المؤيدين والأنصار، لكنه في النهاية يدل على مدى تأثير المشروع السجادي في استنهاض الأمة ضد دولة بني أمية عليهم لعائن الله والناس أجمعين، يقول الشيخ باقر شريف القريشي :" وفيما أحسب أن كثرة بكائه ليس من عظم ما مُني به من الخطوب، والمصائب الجسام التي حلت به من فجائع كربلاء، وإنما كان تخليداً لثورة أبيه التي كانت من أجل تحرير الإنسان من الظلم والعبودية والطغيان، وقد أحدث بكاؤه على أبيه لوعة في نفوس المسلمين ولعل هذه الظاهرة جملة من العوامل التي حفزت الجماهير الإسلامية على مناجزة الحكم الأموي، فقد انطلقت الشرارة الأولى من يثرب، فأعلن أبناء الصحابة عصيانهم المسلح على حكومة يزيد التي استهانت بقيم الأمة ومقدراتها "[1].

---

[1] حياة الإمام زين العابدين – دراسة وتحليل \ ج١ ص٩ .

أقوال العلماء والمؤرخين
في الإمام زين العابدين (ع)

بالرغم من الحصار وسياسة التغييب المتعمد التي مارسها الإعلام الأموي، كان للإمام زين العابدين (ع) شهرة كبيرة بين المسلمين بجميع اقطارهم وأمصارهم، فضلاً عن شهرته في الأوساط العلمية، خاصة وإن أشهر علماء المسلمين في تلك الفترة تتلمذ على يديه، لقد كان تعظيم العلماء للإمام يسبب الكثير من الأذى والملاحقة لهم، مما أجبر الكثير منهم إلتزام التقية ليسلم من مضايقات السلطة الحاكمة، التي كانت تحيط الإمام ومن يتصل به بالعيون والجواسيس، ومع هذا كله وصل لنا الكثير من التراث الإسلامي وأقوال المشاهير في تمجيد الإمام وتعظيمه ووصف مواهبه وعبقريته، وفيما يلي بعض الأقوال بحق الإمام نذكرها، ربما تكون دليلاً على أن حياة الإمام لم تكن حياة انعزالية كما يصورها بعض الكتاب والمؤرخين . وفيما يلي بعض تلك الأقوال ونبدأ بطبقة الصحابة والتابعين:

١ . محمد بن مسلم الزهري نقل عنه قوله[١]"ما رأيت قرشياً أفضل منه".

٢ . أبو زيد بن أسلم نقل عنه قوله[٢] "ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم قط"(يعني في أهل البيت ممن عاصره سلام الله عليه).

٣ . حماد بن زيد،نُقل عنه قوله [٣]"كان أفضل هاشمي أدركته ".

٤ . نَقل حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قوله [٤]"هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة ".

٥ . عن ابن وهب عن مالك[٥] قال "لم يكن في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل علي بن الحسين ".

٦ . يروى أن سعيد بن المسيب قال [٦]"ما رأيت أورع منه ".

---

[١] طبقات الفقهاء ص ٦٣ في قسم طبقات التابعين في المدينة .

[٢] المصدر السابق .

[٣] تهذيب الأسماء واللغات للحافظ أبو زكريا النووي ج١ القسم الأول ص ٣٤٣ تسلسل ٤٢٧ .

[٤] المصدر نفسه.

[٥] المصدر نفسه.

[٦] المصدر نفسه.

٧ . قال أبو حاتم الأعرج[1] "ما رأيت هاشمياً أفضل منه" (يقصد الإمام زين العابدين عليه السلام).

٨ . قال أبو حازم المدني[2] "ما رأيت هاشمياً أفقه من علي بن الحسين".

٩ . ابن عساكر[3] قال" كان علي بن الحسين ثقة مأمونًا كثير الحديث عاليًا رفيعًا وَرِعًا ".

١٠ . قال محمد بن سعد[4]: "كان عليّ بن الحسين ثقة مأمونًا كثير الحديث عاليًا رفيعًا ورعًا ".

١١ . قال ابن حجر العسقلاني[5]: " علي بن الحسين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه".

١٢ . قال ابن حجر الهيثمي[6]: " و زين العابدين هذا هو الذي خلف أباه علمًا و زهدًا و عبادةً"، وأضاف يقول: "و كان زين العابدين عظيم التجاوز و العفو و الصفح".

---

[1] العبر في خبر من غبر ج١ ص١١١ .

[2] سير أعلام النبلاء ج٤ ص٣٩٤ .

[3] تاريخ دمشق ج٣٦ ص ١٤٢

[4] الطبقات الكبرى ج٥ ص٢٢٢ .

[5] تقريب التهذيب ج٢ ص٣٥ .

[6] الصواعق المحرقة ص ١١٩ .

١٣ . قال الذهبي[١] :"كانت له – أي لزين العابدين– جلالة عجيبة، وحق له و اللّه ذلك، فقد كان أهلًا للإمامة العظمى لشرفه و سؤدده و علمه و تألُّهه و كمال عقله ".

١٤ . قال أبو الفتح بن صدقة[٢]:"الإمام علي بن الحسين (رض) اجمعين، المعروف بزين العابدين، هو أحد الأئمة الاثني عشر ومن سادات التابعين".

١٥ . قال الحافظ أبو نعيم[٣]:"علي بن الحسين (ع) زين العابدين و منار القانتين كان عابدًا وفيًّا و جوادًا حفيًّا ".

١٦ . قال أحمد بن أبي يعقوب[٤]:"كان (أي الإمام زين العابدين) أفضل الناس و أشدهم عبادة، و كان يسمى زين العابدين و كان يسمى أيضا ذا الثفنات لما كان في وجهه من أثر السجود ".

١٧ . قال الواقدي[٥]: كان . أي زين العابدين . من أورع الناس وأعبدهم و أتقاهم للّه عزّ و جلّ و كان إذا مشى لا يخطر بيده وعليه السكينة والخشوع ".

---

[١] سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٢٤٠ .
[٢] درر الأبكار ص ٧٠ .
[٣] حلية الأولياء ج٣ ص١٣٣ .
[٤] تاريخ اليعقوبي ج٣ ص٤٦ .
[٥] البداية والنهاية ج٩ ص١٠٤ .

١٨ . قال صفي الدين[1]: "كان زين العابدين عظيم الهدى والسمت الصالح ".

١٩ . قال النووي[2]: "وأجمعوا على جلالته (أي الإمام زين العابدين) في كل شيء".

٢٠ . قال الداعي عماد الدين القرشي[3]: "كان الإمام زين العابدين افضل بيت رسول اللّه (ص) و أشرفهم بعد الحسن و الحسين (ع) و أكثرهم ورعًا و زهدًا و عبادة ".

٢١ . قال النسابة الشهير ابن عنبة[4]: "وفضائله – أي فضائل الإمام زين العابدين – أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف".

٢٢ . قال الجاحظ[5]: "وأما علي بن الحسين فلم أرَ الخارجي في أمره إلا كالشيعي و لم أرَ الشيعي إلا كالمعتزلي و لم أرَ المعتزلي إلا كالعامي و لم أرَ العامي إلا كالخاصّي و لم أجد أحدًا يتمارى في تفضيله و يشك في تقديمه".

---

[1] وسيلة المآل في عد مناقب الآل ص٢٠٨ .

[2] تهذيب الأسماء واللغات ج١ القسم الأول ص ٣٤٣ .

[3] عيون الأخبار وفنون الآثار ص ١٤٤ .

[4] عمدة الطالب ص ١٩٣ .

[5] عمدة الطالب ص ١٩٤ .

٢٣ . قال الشراوي[1]: "كان رضي الله عنه – أي الإمام زين العابدين – عابدًا زاهدًا ورِعًا متواضعًا حسنَ الأخلاق".

٢٤ . قال أحمد القليوبي الشافعي[2]: "فضائله (أي الإمام زين العابدين) أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف".

٢٥ . ابن تيمية[3] قال: " أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علمًا ودينًا، وله من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف".

٢٦ . قال الشيخاني القادري[4]: "سيدنا زين العابدين اشتهرت أياديه ومكارمه وطارت بالجو في الجود محاسنه عظيم القدر رحب الساحة والصدر وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة و ثبت بالآثار المتواترة ".

---

[1] الإتحاف بحب الأشراف ص٤٩ .

[2] تحفة الراغب ص١٣ .

[3] منهاج السنة ج٢ ص١٢٣ .

[4] الصراط السوي ص١٩ .

٢٧ . قال ابن خلكان[1]:"هو (أي الإمام زين العابدين) أحد الأئمة الاثنى عشر و من سادات التابعين قال الزهرى : ما رأيت قرشيًا أفضل منه ".

٢٨ . ابن شدقم[2]:"الإمام الحبر الزاهد علي بن الحسين زين العابدين".

٢٩ . قال السيد محمود المنوفى[3]:"كان زين العابدين عابدًا وفيًا و جوادًا صفيًا و كان إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ".

٣٠. قال أبو الفتوح الحسينى[4]:"كان الذكر المخلد والاشتهار لعلي الأوسط زين العابدين الملقب بالسجاد، وهو (أول سبط من أسباط الحسين) . هكذا وردت في النص المنقول من الأصل . و رابع معصوم على رأي الاثنى عشرية وزاهد على رأي غيرهم ".

---

[1] وفيات الأعيان ج٢ ص٤٢٩ .

[2] زهرة المقول ص٦ .

[3] أعلام أهل التصوف ج٢ ص٧١ .

[4] النفحة العنبرية .

٣١ . قال المناوي[١]: "زين العابدين إمام سيد سند اشتهرت أياديه و مكارمه و طارت بالجو في الوجود حمائمه كان عظيم القدر رحب الساحة و الصدر رأسًا لجسد الرئاسة مؤمّلًا للإيالة و السياسة".

٣٢ . بن طلحة الشافعي[٢]:"هذا زين العابدين قدوة الزاهدين وسيد المتقين وإمام المؤمنين سمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفى، وثفناته تسجل بكثرة صلاته وتهجده وإعراضه عن متاع الدنيا، ينطق بزهده فيها، درت له أخلاف التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أنوار العبادة فأنس بصحبتها وخالفته وظائف الطاعة فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة وظمأ الهواجر دليلا استرشد به في مفازة المسافرة، وله الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنه من ملوك الآخرة".

---

[١] الكواكب الدرية ج١ القسم الأول ص٣٧٢ .

[٢] مطالب السؤول ص٢٦٧ .

٣٣ . قال محمد بن سعد[1]: "كان الإمام زين العابدين ثقةً مأمونًا كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً ".

٣٤ . قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري[2]: "كان علي بن الحسين رحمه الله ثقة ورعًا مأمونًا كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ".

٣٥ . قال الإمام الشافعي[3]:" إن علي بن الحسين أفقه أهل المدينة".

٣٦ . قال البستاني: [4]"زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب و. لكثرة عبادته لقب بزين العابدين و لقب أيضًا بسيد العابدين و الزكي و الأمين و ذي الثفنات".

---

[1] البداية والنهاية ج٩ ص١٠٤ .

[2] نهاية الإرب في فنون الأدب ج٢١ ص٣٢٤ .

[3] رسائل الجاحظ ص ١٠٦ .

[4] دائرة معارف البستاني ج٩ ص٣٥٥ .

٣٧ . قال ابن الجوزي[1] : "علي بن الحسين كنيته أبو الحسن ويلقب بـزين العابـدين وسـماه رسـول الله (ص) سـيد العابـدين (لمـا تـذكره السير) والسجاد وذي الثفنات والزكي والأمين "

٣٨ . قال تاج الدين بن محمد بن حمزة الحسيني نقيب حلب[2]: "كان علي بن الحسين سيد بني هاشم و موضع علمهم و المشار إليه منهم ".

٣٩ . قال خير الدين الزركلي[3]: "علي بن الحسين بن علي بن أبي طالـب الهاشـمي القرشـي أبـو الحسـن الملقـب بـزين العابـدين رابـع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية و أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم و الورع يقال لـه علي الأصغر للتمييز بينه و بين أخيـه علي الأكبر".

---

[1] تذكرة الخواص ص٣٢٤.

[2] غاية الإختصار ص١٠٦ .

[3] الأعلام ج٤ ص٢٧٧.

الفصل الثالث

- التأثيرات النفسية للحزن في القرآن.
- حزن الآخرة في الخطابات القرآنية.
- حزن النبي محمد صلى الله عليه وآله في القرآن.
- النهي عن الحزن في القرآن.

التأثيرات النفسية للحزن في القرآن

لقد صوّر لنا القرآن الكريم مشهدًا من مشاهد الحزن السلبي المرفوض من الناحية الشرعية، لأسباب تعود الى الدوافع التي أدت الى ذلك الحزن، و كان العرض القرآني لهذه الحال إضافة الى الجنبة البلاغية الإعجازية، نجد فيه إشارة الى حال لم تكن قد اكتُشفت سريرياً في تلك العصور، وهي حال التلازم بين الانفعال النفسي الباطني وظهور علاماته على المستوى الظاهري لأعضاء الجسم، فالحزن وما رافقه من كظم الغيظ الذي يصيب من بُشّرَ بالأنثى، وهي الحال التي تشير اليها الآيتان المباركتان في سورة النحل، الآية (١٥٨) قال تعالى: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ "، و الآية (١٧) من سورة الزخرف قال تعالى: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ " فالآيتان أشارتا الى مظهرين تمثّلا بالتالي:

الأول . المظهر الداخلي وهو الحزن المقرون بالكتم والحبس، وهو ما تبيّنهُ كلمة الكظم[1].

الثاني . المظهر الخارجي وهو إسوداد الوجه.

وبذلك يكون القرآن قد وصف الحال وصفاً دقيقاً لتأثيرات الفكر الاجتماعي السلبي في النظرة الى الأنثى، و الذي كان سائداً في المجتمع العربي الجاهلي، و منها التأثير النفسي على المستوى الشخصي، إضافة الى ما يفرزه ذلك الفكر من إفرازات إجتماعية سلبية على المستوى العام، لكن الملفت أن القرآن لم يتناول أصل الانفعال سلباً أو إيجاباً، من حيث تأثيراته الفسيولوجية الداخلية والخارجية، ليس لأنهما خارج دائرة الاهتمام القرآني، بل لأنهما عاملان خارجيان عن الإرادة، و أعمق من أن يكون للإنسان قوة التحكم بهما.

---

[1] جاء في الميزان في تفسير القرآن – الطباطبائي " الكظيم المملوء كرباً وغيظاً. والمعنى وحالهم أنه إذا بُشّر أحدهم بالأنثى الذي جعلها شبهاً مجانساً للرحمن صار وجهه مسوداً من الغم وهو مملوء كرباً وغيظاً لعدم رضاهم بذلك وعدّه عاراً لهم لكنهم يرضونه له تعالى .

ومن المسوح الجمالية للقرآن في هذا الخطاب الخاص في الآيتين المباركتين، نرى مفارقة رائعة مقرونة بسخرية خفية لطيفة يظهرها القرآن، ففي الوقت الذي يشير فيه الفكر القرآني الى ما يجلب السعادة والسرور، وهو ما يحمله الظهور العرفي في كلمة البشارة بولادة الأنثى، تجد ظلامية الفكر الجاهلي الكافر يدفع (المُبَشَّر) بالأنثى الى الغرق في بحر من الحزن الشديد، الذي تظهر آثاره على الوجه، بالرغم من حرص المُبتلى به على كتمه وحبسه، وتنتهي القصة المأساوية بدس البشرى في التراب، من غير أن تعلم تلك الأنثى الضحية السبب الذي أوقع أباها في شراك الحزن الشيطاني، وما تبعه من ظلم وتجبر انتهى بوأدها تحت التراب، وجاء الخطاب العظيم مؤرِّخًا لهذه القضية الإنسانية بقوله تعالى :" وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ " التكوير (٨-٩).

إن هذه القضية التي فصلها القرآن الكريم بأبلغ صورة وأوجزها، ما يعجز الفكر الإنساني عن الإتيان بنظمها، لم تكن صورة منحسرة في قضية حدثت كثيراً في الجاهلية، بل إن العبرة من البشارة بالأنثى التي لم يكن يعتقد الأب بتبعات خيرها المستقبلية، هي بالحقيقة تتكرر كثيرًا في حياة الإنسان، فالأب القاتل الذي وأدَ

ابنته في التراب، لم يكن يعتقد بالخير إلا الذي يراه خيراً، ذلك لأنه لا يؤمن بالغيب الذي هو في الحقيقة مصدر الخير كله ..

ترى، كم من مؤمنٍ نراه في حياتنا اليومية يحزن ويقضي أيامه في العزلة والتذمر، و حتى البكاء، لمجرد خسارة مالية او حادث يكرهه مع إنه يؤمن بالغيب، و يقرأ القرآن آناء الليل و أطراف النهار ويرى قوله تعالى: " فَعَسَى أن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا " ؟.ليت الأمر ينتهي عند هذا الحد، بل إننا نجد من المؤمنين مَنْ يحزن بالرغم من أنه حصل على الخير، لكنه ليس الخير الذي حدده هو، أو ليس بالمقدار الذي توقعه هو، وكأن ميزان الكون بيده ورهن إشارته !

إن هذا اللون من الحزن المرفوض قرآنياً، عالجه الإمام زين العابدين عليه السلام بخطاب ومناجاة موجهين الى مالك الخير كله، رب العالمين،تلك المناجاة التي تستبطن كل علامات العجز أمام الإرادة الإلهية، والانصياع والخضوع الكامل لها، بخيرها الذي نرى آثاره خيراً، أو بشرّها الذي نرى آثاره شراً، بحسب توقعنا وفكرنا القاصر عن الإحاطة بحسابات الخير والشر الكونية.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء الخامس عشر من أدعية الصحيفة السجادية .. " فَمَا أَدْرِي يَا إِلَهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ، أَوَقْتُ الصِّحَةِ الَّتِي هَنَّأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشَّطْتَنِي بِهَا لابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ أَمْ وَقْتُ الْعِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهَا، وَالنِّعَمِ الَّتِي أَتْحَفْتَنِي بِهَا تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ وَتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ، وَفِي خِلالِ ذَلِكَ مَا كَتَبَ لِيَ الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ الاعْمَالِ، مَا لا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيهِ، وَلا لِسَانٌ نَطَقَ بِهِ وَلاَ جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ بَلْ إِفْضَالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْسَاناً مِنْ صَنِيعِكَ إِلَيَّ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَا رَضِيتَ لِي، وَيَسِّرْ لِي مَا أَحْلَلْتَ بِيْ، وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ مَا أَسْلَفْتُ".

ترى ! .. كم بشارة يبشرنا بها الله تعالى كل يوم، بل كل ساعة، و نحن ندسها في التراب ظلماً من عند أنفسنا، لاننا بجهلنا لا ندرك خيرها بسبب ضبابية الرؤية وضعف البصيرة ..

حزن الآخرة في الخطابات القرآنية

نبدأ بالطائفة الأولى من الآيات التي ذُكر فيها الحزن، و التي تشترك في أن معنى الحزن فيها، هو الحزن الأخروي، الذي وعد الله تعالى المؤمنين أن يعصمهم منه يوم القيامة، قال تبارك وتعالى في الآية ٣٨ من سورة البقرة: " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" وهناك أكثر من ثلاث عشرة آية تشترك في أنها تنتهي بالجملة: " وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ".

وفي الآية ١٠٣ من سورة الأنبياء، قال تعالى: " لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ".

وفي الآية ٣٠ من سورة فصلت قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ".

لا يخفى إن الحزن في الآيات المباركة آنفة الذكر، تشترك في مضمون واحد، اتفق أكثر المفسرين بل كادوا أن يجمعوا على أن الحزن فيها، يقصد منه الحزن في الآخرة، وقد وعد الله المؤمنين بأن

هذا الحزن لا يقربهم البتة، ففي تفسير الحزن المذكور في الآية ٣٨ من سورة البقرة: " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" يقول الفخر الرازي[1] " قرائن الكلام تدل على أن المراد نفيهما في الآخرة لا في الدنيا. ولذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) فاطر: ٤٣ أي أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا، من أن تفوتنا كرامة الله تعالى التي نلناها الآن ". وقال القرطبي في تفسير الآية: " فلا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وقيل: ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا "[2]. وقال الطوسي في تفسير الآية " عمومه يقضي أنه لا يلحقهم خوف أهوال القيامة، وأما الحزن، فلا خلاف أنه لا يلحقهم ومن أجاز الخوف، فرق بينه وبين الحزن، لأن الحزن

---

[1] تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير/ الفخر الرازي

[2] تفسير الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي

إنما يقع على ما يغلظ ويعظم من الغم والهم، فلذلك لم يوصفوا بـذلك، ولـذلك قـال تعـالى: (لا يحـزنهم الفـزع الأكبـر) لأن مـا يلحقهـم لا يثبـت، ويـزول وشـيكًا....و يقـول الطوسـي فأمـا لحـوق الحزن والخوف في دار الدنيا، فلا خلاف أنه يجوز أن يلحقهم، لأن من المعلوم، أن المؤمنين لا ينفكون منه "[1]. وذهب الشهرستاني الى المعنى ذاته في تفسيره للخوف والحزن الوارد في الآية ٦٢ من سورة البقرة، يقول: "كل مَن كان على دين إذا وصل حبله بحبل الدين القيّم وآمن بما أُنزل على النبيّ المصطفى (ص) وآمن باليوم الآخر وعمل صالحاً لذلك اليوم فلهم أجرهم عند ربّهم، لا يضيع عنده عمل مثقال ذرّةٍ ولا خوف عليهم من عذاب الآخرة ولا هم يحزنون على فوات الدنيا "[2].

---

[1] تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي

[2] تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار للشهرستاني ج١ ص ٣٩٠

النهي عن الحزن في القرآن

ومما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي تنهى عن الحزن في الدنيا، قال تعالى في سورة آل عمران ١٣٩ :" وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "، وقال تعالى في سورة آل عمران ١٥٣: " إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ". وقال تعالى في سورة التوبة ٤٠: " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ".

إن النهي بحسب الإصطلاح الأُصولي يدل على المنع والامساك، يقول الشهيد محمدباقر الصدر (قده) :" المقرر بين الأصوليين هو القول بأن صيغة النهي تدل على الحرمة، ويجب أن نفهم هذا القول بصورة مماثلة لفهمنا القول بأن صيغة الأمر تدل على الوجوب، مع فارق وهو أن النهي إمساك ومنع، والأمر إرسال

وطلب فصيغة النهي إذن تدل على نسبه إمساكية ... حين نسمع جملة (لا تذهب) فنتصور نسبة بين الذهاب والمخاطب، ونتصور أن المتكلم يمسك مخاطبه عن تلك النسبة ويزجره عنها".و يسترسل في بيان معنى الزجر قائلاً :" ومعنى القول بأن صيغة النهي تدل على الحرمة في هذا الضوء أن الصيغة موضوعة للنسبة الإمساكية، بوصفها ناتجة عن كراهة شديدة وهي الحرمة، فتدخل الحرمة ضمن الصورة التي نتصور بها المعنى اللغوي لصيغة النهي عند سماعها. والدليل على إنها موضوعة كذلك هو التبادر كما تقدم في صيغة الامر" [١].

إذن فالنهي في الحقيقة زجرٌ قبيح إلا إذا كان في النص ما يصرفه عن القبح فكلمة (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) في الآية " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " ١٣٩ آل عمران، فيها إقرار بعلوّ المرتبة وعلوّ الهمّة فتكون مناسبة لصرف النهي عن معنى الزجر القبيح، وفي الآية " إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " ١٥٣ من سورة آل عمران، و

[١] دروس في علم الأصول – السيد محمد باقر الصدر – الحلقة الأولى ص١٠٠.

كذلك في الآية " إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ٤٠ من سورة التوبة،نجد أن الخطاب فيه نهي يحمل معنى الزجر القبيح مما لا سبيل الى صرفه، فقوله تعالى: " لَا تَحْزَنْ" يحمل معنى الحرمة من دون شك، وبيانه جاء في قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا " وهذا يعني أن الحزن كان سببه الشك في أن يكون الله معهم،يقول الراغب:" (ولاتحزن) فليس ذلك بنهيٍ عن تحصيل الحزن، فالحزن ليس يحصل بالاختيار"، وإنما كان نهياً عما يصدره من انفعالات بسبب الحزن، قد تؤدي الى انكشاف أمرهم في الغار، كالبكاء والصراخ والتذمر، أو غيرها من انفعالات. يقول ابن شهرآشوب " وقوله (لَا تَحْزَنْ) فهو نهي، والنهي لا يكون – في الحقيقة – إلا للزجر القبيح، ولا سبيل الى صرفه بغير دليل " [١] وقال ابن شهرآشوب في معنى الآية ١٥٣ من آل عمران " من الظواهر الواردة بالذم في القرآن بسبب الفرار من الحرب وإيذائهم للنبي (ص) قوله تعالى (إِذْ

---

[١] متشابه القرآن – ابي جعفر بن شهر آشوب ج٣ ص ٣٠٩ .

تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)"[1].

---

[1] متشابه القرآن – ابي جعفر بن شهر آشوب ج٣ ص٣٠١ – ٣٠٣ .

الفصل الرابع

- حزن النبي محمد صلى الله عليه وآله في القرآن

- فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ

- يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا

حزن النبي محمد (ص) في القرآن

وأما هذه الكوكبة المباركة من الآيات، قال تعالى: "وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " آل عمران ١٧٦،وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " المائدة ٤١،" قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " الانعام ٣٣ ،" وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " يونس ٦٥،" لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ " الحجر٨٨،"وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ " النحل ١٢٧،" وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ " النمل

٧٠،" وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " لقمان ٢٣،" فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " يس ٧٦ ،" أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَناً فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ " فاطر ٨.

نرى أن المخاطب بهذه الآيات المباركة هو النبي صلى الله عليه وآله بإجماع المفسرين، ونلاحظ إن أغلب الخطابات جاءت لتسلية النبي (ص)، وحظه على التمسك بالصبر وعدم التكلف بالحزن، فالأمر بيد الله وهو القادر والحاكم على مجاري الأمور وعاقبتها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، يقول الجنابذي في تفسير الآية ١٧٦ من سورة آل عمران "(وَلاَ يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ) في الذّهاب الى الكفر لخوفك ان يضرّوك او يضرّوا المؤمنين بتقوية الكافرين أو مقاتلة المؤمنين والمراد بهم المنافقون المتخلّفون عن الجهاد (إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ) فى مقام التّعليل والمعنى لن يضرّوا أولياء الله ومظاهره في الارض (شَيْئاً) من الضّرر ... وفيه تسلية للرّسول (ص) ودلالة على انّ تسرّعهم الى الكفر إنّما هو بإرادة الله وإنْ لم يكن برضاه (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الدّنيا

والآخرة " [1] .والى هذا المعنى ذهب الطوسي في تفسير الآية ٣٣ من سورة الأنعام، يقول رضوان الله عليه: " لما علم الله تعالى أن النبي (ص) يحزنه تكذيب الكفار له وجحدهم نبوته، سلّاه عن ذلك بأن قال: " فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون " [2] .وفي تفسير الآية ٨٨ من سورة الحجر، نجد أن معنى النهي عن الحزن في الآية، لا يحمل معنى الزجر والحرمة للسياق القرآني الذي يصرف المعنى الى أن الله تعالى لا يرضى لنبيّه أن يكون مهموماً، لعظمة منزلته عند الله وحبه له، يقول الراغب :" (وَلَا تَحْزَنْ) فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحزن، فالحزن ليس يحصل بالاختيار، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه، والى معنى ذلك أشار الشاعر بقوله :

من سره أن لا يرى ما يسوؤه   فلا يتخذ شيئاً يبالي له فقدا [3]

---

[1] تفسير تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة/ الجنابذي .

[2] تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي .

[3] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني – في تفسيره لمفردة (حزن) .

"فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ"

حزن نبي الله نوح عليه السلام

قال تعالى في سورة نوح :" قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا. فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا . مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا : وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا. وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا . لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا . قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا. وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ

آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالا . مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا . وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا . رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا "[1].

تُعد الشكوى من أوضح المصاديق الدالة على الحزن، ولهذا نرى في شكوى نوح عليه السلام في الآيات المتقدمات، ودقة المفردات التي استخدمها في شكواه، تشير بوضوح الى مدى اللوعة التي يختزنها قلبه الطاهر الرحيم، من أثر ذلك الصدود وتلك السخرية والأذى الذين نالهما من قومه.

نوح النبي يعلم جيداً أن ربه يعلم بكل ما تلقاه من قومه، ويعلم أن ربه يرى قومه وهم يستغشون ثيابهم، ويضعوا أصابعهم في أسماعهم كوسيلة مبالغ فيها للتعبير عن التحقير، بهذا العبد الصالح الذي لم يكن يريد منهم إلا التوجه الى الله تعالى، وطلب المغفرة

[1] الآيات المباركات من سورة نوح .

منـه، ليعود الخير والمطر والذرية بعد أن أصابهم الجدب بسبب كفرهم وطغيانهم، إلا أن التفصيل الذي ذكره نوح في شكواه، وهو ما تصوره الآيات المباركات، هذا التفصيل يدل على أن نوحاً (ع) كان يريد من يسمع شكواه، كان بحاجة لأن يفضفض ما بداخله من آلام لعله يرتاح، من هذا الضغط الكبير الذي يتعرض له من قومه الكافرين.

لا أظن أن تكون هذه الشكوى المليئة باللوعة والأسى قد خلت من الدموع وزفرات البكاء، فنحن الذين لم نحضر تلك العذابات التي تحملها أبونا نوح عليه السلام، لكن بمجرد سماع شكواه تختلج العبرات في صدورنا، وتمتلئ عيوننا بالدموع، وتستعر قلوبنا بالآهات، فكيف بنوح ذلك العبد الصالح، وهو يقف في حضرة ربه ويشكو بثه ... سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ..

"فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ"[1]

ترى ! .. كيف كان نبي الله نوح مغلوباً ؟ كيف يكون نبياً ويقول " إني مغلوب " ؟

---

[1] سورة القمر الآية ١٠ .

قطعاً إن حجة نوح لا يمكن أن تنهزم أمام جدال أهل الكفر، ولا يمكن توقع هزيمة للحجج العقلية التي يحملها الأنبياء، فالأنبياء يحملون من الحكمة والصبر والشجاعة، ما لا يمكن أن يغلبهم أحد، فهم على المستوى النفسي، أكثر الناس قدرة على مواجهة الحرب النفسية، والصبر الذي يملكه الأنبياء لا يمكن أن يتضعضع، كذلك لا يمكن أن يغلبهم أحد على المستوى العقلي، وإنما كان نوح مغلوباً لأن الله طالما أراد تعجيل العقوبة والعذاب بقومه، إلا أن نوحاً كان يستمهله رحمةً بهم، لعلهم يأخذوا وقتاً كافياً للتفكير والرجوع الى عقولهم ويجنبهم العذاب الذي توعدهم الله به، لكن بعد أن ضاق بهم نوح ذرعاً ووصل الى حدٍ، تأكد فيه أنه لا يمكن أن يكون مزيدٌ من الصبر فيه فائدة لهم أو للمشروع الإلهي في خلافة الأرض، فلم يعد بالإمكان حتى أن يكون في ذريتهم مولودٌ مؤمن، عندها أعلن هزيمته أمام الله تعالى وأقر أن الله هو الغالب وأنه هو المغلوب، فلا فائدة من أن يطلب من الله تأجيل العذاب مرة أخرى، فقد ثبت أن تعجيل الله بإنزال العذاب بهم كان أولى من تأخيره كما كان نوح يطلب من الله، ولذلك لم يكن خطابه طلب الانتصار لنفسه بل الانتصار لإرادة الله التي طالما طلب تأجيلها، فقال نوح لله: اللهمَّ

فانتَصِرْ منهم أي انْتَقِمْ. فليس لي أن أطلب تأجيل العذاب مرة أخرى

.. لقد غلبتني يا ربّ وقولك كان هو الأولى وهو الحق والصدق ..

لقد أجمع المفسرون . أعلى الله مقامهم . على أن نوحاً دعا ربه على قومه بأني مغلوب من جهة قومي، لتمرّدهم عن الطاعة، وزجرهم لي عن تبليغ الرسالة، فانتصر لي، أي انتقم لي منهم، طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم حين يَئِسَ من إجابتهم، وعلم تمرّدهم وعتوّهم، وإصرارهم على ضلالتهم ...

وهذا الكلام يمكن الرد عليه من جهتين:

الأولى : لم أعثر على دليلٍ روائيّ عن النبي أو أحد من الأئمة المعصومين يؤكد ما ذهبوا اليه من تفسير.

الثانية : إن هذا التفسير فيه استخفاف بحقيقة النبوة التي هي أعلى وأجل من أن يكون النبي ضعيفاً ومغلوباً .. فالنبيّ لا يمكن أن يكون مهزوماً ومغلوباً، لا من جهة الحجج العقلية، ولا مغلوباً من جهة الثبات والقوة النفسية والقدرة على المواجهة والتحمل والصبر.

الثالثة : ومن أظهر ما يمكن الاستدلال عليه بعدم (هزيمة) نوح وعدم إقراره بغلبة قومه إياه، إنه لم يطلب الإنتصار لنفسه

فالمغلوب بالعادة يطلب النصر لكن نوحاً قال (فَانتَصِرْ) ولم يقل فانتصر لي أو فانصرني !

والرابعة : قول الله تعالى في الآية ٢١ من سورة المجادلة: " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ "، هذه الآية تثبت أن الأنبياء لا يمكن أن يُهزموا أو أن يكونوا مغلوبين، وكذلك قوله تعالى في الآية ١٧٣ من سورة الصافات :" وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ "، اضافة الى قوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة المائدة قال تعالى: " وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ". وبهذه الشواهد القرآنية تنتهي اسطورة هزيمة نوح أمام قومه.

والله العالم

"يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا"

حزن الصديقة مريم العذراء

ابتدأت قصة الحزن في حياة مريم عليها السلام، عندما ولدتها أمها الطاهرة (إمرأة عمران) حيث كانت قد نذرت ان يكون مافي بطنها من حمل محرراً لله، تجعله من نُسّاك بيت العبادة في القدس الشريف " إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[1]،و كل ظنها ان مولودها سيكون ذكراً، فلم يعهد أن كان نُسّاك المسجد من الإناث، ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن تلد أنثى وليس الذكر كالأنثى في أعراف بني إسرائيل، فالإناث يُحظَر عليهنّ الانقطاع والتنسك فضلاً عن السكن في المسجد الشريف.

فتوجهت امرأة عمران الى الله منكسرة القلب، دامعة العين، قد ملأ قلبها الحزن وجوارحها الضعف والهزال تناجي ربها (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى)[2] وطلبت من الله أن يتقبل منها هذه الأنثى لتكون خالصة لوجهه الكريم، تنقطع لعبادته في مسجده المعظم، فتقبلها الله تعالى بأحسن القبول "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا

---

[1] الآية ٣٥ من سورة آل عمران .

[2] الآية ٣٦ من سورة آل عمران .

نَبَاتًا حَسَنًا"[1] وأوحى الى نبي الله زكريا، بأن مريم ستكون الناسك الأولى لبيته المقدس، وسيكون موضع سكنها وعبادتها، فالمهمة التي ستوكل الى مريم مهمة من نوع جديد، لم تكن قد حدثت في أي زمن من الازمان السابقة لعمر الخليقة ..

وهكذا بدأت مريم حياتها بغزيرٍ من دموع والدتها المنكسرة، تنهمر على وجه الطفلة البريئة التي ينتظر الخلق نموها، لتكتمل فصول هذه القصة العظيمة التي كانت مريم وأحزانها قطبها و محورها...

وبعد جدل شديد من علماء اليهود الذين كادوا ان يقتلوا نبيهم زكريا، عندما أبلغهم بأن الله تعالى يأمرهم ان يُحَكّموا القرعة، لتحديد الشخص الذي يكفل مريم الصديقة ابنة عمران، وهذا كان الفصل الثاني من الحزن (المريمي)، فهي يتيمة يتنازع كفالتها علماء اليهود، لا حباً بها، وانما ليضمنوا دفعها عن السكن في المسجد

---

[1] الآية ٣٧ من سورة آل عمران .

المقدس، كما أراد الله تعالى لها ذلك (وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)[1]...

وبعد أن باءت خطط المنافقين من علماء اليهود بالفشل الذريع، حيث جعلت القرعة كفالة مريم بعهدة النبي زكريا عليه السلام،" فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا "[2]،وبذلك تكون كفالة زكريا لها أول الفتح وأول الفرج،" وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ "[3] وبعد ذلك توالت البركات وذاع صيت الصديقة الطاهرة مريم، وشاع بين الناس عظمة نفسها وقوة ارادتها في عبادة الله تعالى، فكانت مثال الورع والإيمان والطهر والنقاء، وصار الناس يزحفون لحجرة مريم لينالوا شيئاً من البركات التي أحاطها الله بها "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ

---

[1] الآية ٤٤ من سورة آل عمران .

[2] الآية ٣٧ من سورة آل عمران .

[3] الآيات ٤٢ – ٤٣ من سورة آل عمران .

مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ "[1] ولم يكن ذلك الرزق (المعجزة) مقتصراً على الطعام والشراب الذي لم تكن حال مريم تسمح بشرائه، بل شاء الله أن يكون نوع الرزق دليلاً آخر للمعجزة الكاشفة لمكانة مريم وعظمتها عند الله، بما لا يمكن لناكر أو منافق أن ينكر، فكان ما تقدمه الملائكة لمريم من الطعام، طعاماً عابراً لفصول السنة، فطعام الصيف يأتيها في قلب الشتاء، وطعام الشتاء في قيض الصيف وحرارته، وبالرغم من كل ذلك كان المنافقون لا ينفكون من إزعاج مريم وتضييق الخناق عليها، لعلهم ينجحون في طردها من المسجد المقدس، وكانت مريم تتحمل كل ذلك الحزن وتكتمه في قلبها البريء، وفي العين قذىً وفي الحلق شجًا، ترى نفاقهم وكذبهم وإصرارهم على منابذتها حسداً من عندهم، وكرهاً بهذا البيت الطاهر (آل عمران)، الذي تنتمي إليه الصديقة الطاهرة مريم، هذا البيت الذي اصطفاه الله وميزه على غيره من بيوت بني إسرائيل " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"[2]. وفي خضم كل تلك المعاناة والحزن و

---

[1] الآية ٣٧ من سورة آل عمران .

[2] الآية ٣٣ من سورة آل عمران .

الحسد والنفاق، الذي كانت تراه مريم كل يوم من منافقي علماء اليهود، وفي ليلة من ليالي العبادة والانقطاع الى الله، وفي سجودٍ تجمد فيه الدماء في العروق، خشيةً وإجلالاً، جاء الابتلاء الرباني العظيم، يا مريم يا مريم يا مريم "يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ "[1] وكما هو المتوقع من كل إمرأة طاهرة، شهقت العذراء شهقة ، كادت أن تأتي على حياتها وتحيلها الى جثة هامدة، لكن إيمانها بالخالق الذي لم تدخر شيئاً من الذل والخضوع والطاعة، إلا وسخرته لعبادته حق العبادة، لتفوز بموقع السيادة على النساء، وتقترب من تلك الملكوتية الإنسية التي تحف روحها حول العرش منذ الأزل، وتناقل أخبارَها الأنبياءُ، فتلك الطاهرة النموذج الذي كانت تطمح الوصول الى قربه كل امرأة طاهرة آمنت بربها وانقطعت إليه ومنهم الصديقة مريم ..

لم تكن لمريم أمٌّ حنون تحتضنها في أيام محنتها و همومها، فالى من تلجأ العذراء في هكذا أمر إلهي سيكون سبباً لمزيد من

---

[1] الآية ٤٥ – ٤٦ من سورة آل عمران .

الاحتقار والإذلال، ونجاحاً ولو مؤقتاً لمنافقي اليهود، الذين لم يألوا جهدًا لطردها من المسجد المقدس...

رفعت رأسها العذراء الى خالقها وبكل براءة وإنكسار وخضوع، تناجي ربها: " قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)[1] بهذا الخطاب لم تكن مريم تريد الاعتراض على إرادة الله، لكنها أرادت أن تطلب تخفيف الابتلاء، عسى أن يجيب الله طلبها بأن تتقبل ابتلاء خروجها من المسجد، وتتزوج حالها حال النساء، وإن كان ذلك أمرًا جللًا على نفسها، لكنه قطعاً أخف من تحمل الحمل من غير زواج، و زوج تتزوج منه على رؤوس الأشهاد، لكن إرادة الله كانت حتماً لا تغيير ولا تبديل في فصولها، لابد لك يا مريم أن تتحملي هذا الابتلاء وتصبري،"إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"[2].

حملت مريم ولدها و أحزانها، و كل يوم تكبر بطنها و يكبر همها، و تظهر عليها علامات الحمل و علامات الخجل، و الناس بين مضطرب خائف لا يريد ان يسمح لنفسه أن يشك بالطاهرة

---

[1] الآية ٤٧ من سورة آل عمران .

[2] الآية ٤٧ من سورة آل عمران .

المطهرة، و بين آخرين من المنافقين الذين طالما ناصبوها العداء والكراهية، لكن الأمرَ جللٌ عظيم،" يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا "[1] لقد نسيَ الناس طهارتها و تنسكها، وما شاهدوه من بركات الله التي أحاطت بها، فاليوم يوم الابتلاء، الذي لا يسلم منه إلا العابد الصادق المؤمن الذي امتحن الله قلبه بالإيمان، وسارت مريم مهاجرة الى الله لعلها تحفظ ماء وجهها، الذي أراد الله تعالى أن تبذله لأجله، فلم يكن لمريم ما تدفع به عن نفسها "فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا "[2] لقد جرد الله مريم من كل ما من شأنه أن يسكت أفواه المنافقين، هاجرت مريم وقلبها يعتصر ألماً، فصبرت واكتفت بسلاح البكاء المعبر عن حزنها وهمها الذي تتخاذل الجبال عن حمله.

وفي ذلك المكان القصيّ، الذي خلا من حنانِ الأم و رحمة الأب و سند الأخ، استسلمت مريم الى جذع نخلة يتيمة في صحراء جرداء خلت من الماء " فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ "[3]

---

[1] الآية ٢٨ من سورة مريم .

[2] الآية ٢٢ من سورة مريم .

[3] الآية ٢٣ من سورة مريم .

فاجتمع على مريم الحزن والخوف و ألم المخاض، و كادت أن تفشل في مهمتها، فنادت بأعلى صوتها، يارب لست أهلاً على تحمل هذا الابتلاء، أمتني ياربي في هذا المقام و أنه أحزاني و مصيبتي " يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا، فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا "[1] لم تكن الملائكة تملك شيئاً لمريم، فهم لم يكونوا يعلمون شيئاً بمسير إرادة الله، و أين سينتهي المطاف ببلاء مريم، فحاولوا أن يوجهوا نظر مريم و يبعدوا تعلق فكرها في مصيبتها، و نفسها و سمعتها و شرفها و فضيحتها، الى هم المأكل و المشرب، فالوضع لا يتحمل مزيداً من الهموم و الأحزان ... فقالت الملائكة لمريم – يامريم – " هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا "[2] واتركي أمر الابتلاء، فالذي تكفّل بطعامك و شرابك في هذه الأرض الجرداء، حتماً سيقف معك و يعطيك ما يمكن أن تدفعي به عن نفسك الفضيحة ...

---

[1] الآيات ٢٣ – ٢٤ من سورة مريم .

[2] الآيات ٢٤ – ٢٥ من سورة مريم .

تضاعفت أحزان مريم وزاد همها، فالحمل الذي اضطرب الناس في تصديقه و تكذيبه أصبح اليوم حقيقة، فصارت تحدث نفسها – ماذا أقول لو رأيت أحداً في هذا المكان القصيّ – فجاءت المفاجأة أن الله تعالى منع مريم من الدفاع عن نفسها، وأمرها بالصوم عن الكلام " فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا "[1].

إذن يجب على مريم أن تستخدم لغة الاشارة، فهي ممنوعة من الكلام ... وفوق ذلك كله عليها أن تعود الى القدس، و تواجه الناس وهي تحمل وليدها، وبدل أن تنهار مريم أمام هذا التوالد المتواصل للابتلاءات، فمن حمل الى مخاض الى منع عن الكلام الى الأمر بالعودة ومواجهة القوم، و بدل الانهيار استسلمت مريم لإرادة الله، و تقبلت الأمر الإلهي بالرغم من صعوبة تحمله ..

عادت مريم الى القدس تجر أقدامها بصعوبة وتثاقل، فمازال النفاس يضعفها عن الحركة والمسير، لكنها سارت وأصرت على تنفيذ الأمر الإلهي، تُقدّم قدماً وتؤخر أخرى، فهي تعلم ما ينتظرها

[1] الآية ٢٦ من سورة مريم .

من حكم القتل والرجم، لكنها كذلك تعلم إن الله تعالى سوف لا يتركها ولا يَكِلُها الى نفسها.

سارت وهي تصبّر نفسها بقصص الصابرات ممن سبقنها من النساء، ومن سيأتينَ في آخر الزمان منهنَّ، من الفاطميات والزينبيات التي سمعت بقصصهن ولطالما بكت لهن ....

دخلت مريم القدس " فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ "[١] وتسابق من رآها الى نشر خبر وصولها، و ملأ الناس الطرقات، مذهولين مندهشين من هول المنظر، فالذي كان يقوله منافقو علماء اليهود أصبح حقيقة، لا يمكن لأي مؤمن إنكارها، خاصة وإن مريم لا تريد أن تفصح عن موقفها، حيث فسروا سكوتها بضعف موقفها، فلابد إذن أن يتراجع الجميع عن موقفه بالدفاع عن مريم، التي هي نفسها ليس لديها ما تدفع به التهمة عن نفسها، فالتهمة ذاتها لم تعد تهمة، بل أصبحت جريمة، أتت على كل طهر طاهر كان الناس (يخالونه) في مريم الصديقة ...

أي بلاء هذا ياربي ..؟!

---

[١] الآية ٢٧ من سورة مريم .

فحَمْلٌ من غير جِماع، و سكوت عن الدفاع (فإن كان هذا يرضيك فخذ ياربي حتى ترضى) فمصيبتي ليست أعظم من مصائب زينب بنت خير البرية الذي حكى لي زكريا أمرها، المكتوب في أسفار الأنبياء ووقوفها في مواجهة الظَّلَمة البغاة وتحملها للأحزان والهموم ..

اجتمع القوم حول مريم، يؤنّبونها ويرشقونها بألسنةٍ حدادٍ " قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا "[1] يزيدون بذلك جراحها، و يضاعفون لها أحزانها " يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا "[2]، فلم يكن لمريم أن تجيب، و رضيت من ربها أن يترك لها سلاح البكاء لتناجيه، بأن لا يتخلى عنها، و يعجل لها بالفتح، فهي لا تعرف مقدار صبرها، و لا تظن أنها قادرة على تحمل هذا الحزن العظيم ...

أكتفي بهذا المقدار من عرض قصة حزن الصدّيقة مريم، لأنتقل الى مواطن شدة هذا الحزن، و نقارنه بحزن الإمام زين العابدين عليه السلام فنقول:

---

[1] الآية ٢٧ من سورة مريم .

[2] الآية ٢٨ من سورة مريم .

إن حزن مريم سلام الله عليها كان نوعاً من أنواع الابتلاء الشخصي، وإن كان مقدمة لقضية إلهية عامة، لكن في النهاية هو تجربة شخصية لا تعبر إلا عن المقدار الكبير من الصبر والتحمل، لكن الحزن السجادي، إضافة الى دروس الصبر والتحمل، كان بحد ذاته قضية عامة، أراد به السجاد (ع)، أن يشق طريقاً لإصلاح ما أفسده بنو أمية من خلاله توظيفٍ أمثلَ لذلك الحزن العظيم، ولو دققنا فيما يمكن توظيفه من دروس الحزن المريمي لواقعنا الحالي، ربما لا يزيد عن كونه صبرًا وتحملًا وتسليمًا كاملًا لإرادة الله، بينما الإسقاطات الإيجابية للحزن (السجادي) على واقعنا الحالي و للمستقبل، فيها من الدروس والعبر ما لا يمكن إيجازها ببضع كلمات، فيكفي أن الحزن (السجادي) يؤدي الى بلورة الفكر الثوري، و إزاحة التخدير الإجتماعي، الذي منيت به الأمة أيام الحكم الأموي، وفي أيامنا هذه، نجد دروس حزن الإمام زين العابدين طالما دفعت المؤمنين الى الخروج على كل سلطة وجبروت، لقد كان بكاء الإمام وحزنه سبباً لتخليد الثورة الحسينية، و ترسيخ مفاهيمها السياسية على مر العصور والأزمان.

الفصل الخامس
الحزن في المنظور الفلسفي

لابد أن يكون كل إنسان منا قد مرَّ بتجربة موت حبيب من أحبائه، ربما يكون من أرحامه أو من أصدقائه، وبذلك نكون جميعاً قد طرق الحزن أبواب قلوبنا، وعشنا اللحظات التي يشعر فيها المرءُ بالأسى، وفقد القدرة على تخيل أي شيء ممكن أن يستعيد به حال السرور، أو حتى حال الرضى، التي تجلب السعادة وتدفع الحزن، ليستقر مكانه الانبساط والانشراح..

في تلك اللحظات يشعر الإنسان بوجود فراغ روحي كبير، وفجوة تفصله عن الواقع المحيط به، ولا يتخيل إمكان ان تنتهي هذه الأزمة الروحية التي تلبّسته وستلازمه مدى الحياة،بسبب فقد هذا الإنسان العزيز الى الأبد..

ربما من المخزي أن يسأل الإنسان نفسه في تلك اللحظات انه كيف يجب عليّ ان أُعبِّرَ عن حزني !

فهذا السؤال يستبطن عدم صدق المشاعر التي كان يعيشها في تلك اللحظة، فالبكاء والصراخ والنحيب أمر عفوي، لا يخطط له

الإنسان الحزين، وإلا فسيكون إظهار المشاعر عملية ميكانيكية تتعارض كلياً مع الأجواء الروحية التي تنطلق منها المشاعر .. لكن في الوقت نفسه فإن أحد الحاضرين، أو كلهم، ممكن أن يحاولوا تهدئتك، أو يربتوا على كتفك، كوسيلة من وسائل المشاركة في المصاب، ويعلموا في قرارة أنفسهم أن الحال هذه ستنتهي قريباً، وسيحين الموعد مع زيارات النسيان، التي ستأتي بالتدريج، الى ان تستقر جالسةً على كل مكنون الحزن هذا، وتجعله من الماضي الذي يفقد كل معاني الحزن، وسيحيله الى مجرد ذكرى يأنس بها، او بعض تفاصيلها التي ترتبط بعلاقة المحزون بالمحزون عليه ..

لقد اختلفت النظرة الفلسفية للحزن بحسب المدارس الفلسفية التي ظهرت عبر التأريخ، لكن الملفت في تلك الآراء كلها، هو ما تنفرد به الفلسفة الرَّوَاقِيَّة [1] في نظرتها الى الحزن، فهم

---

[1] الفلسفة الرَّوَاقِيَّة مذهب فلسفي ازدهر حوالي القرن الرابع قبل الميلاد واستمر حتى القرن الرابع الميلادي. بدأ في اليونان ثم امتد إلى روما. اعتقد الفلاسفة الرواقيون أن للناس كلهم إدراكًا داخل أنفسهم، يربط كل واحد بالناس الآخرين أجمعين وبالحق . الإله الذي يتحكم في العالم.. أدى هذا الاعتقاد إلى قاعدة نظرية للكون، وهي فكرة أن الناس هم مواطنو العالم، وليسوا مواطني بلد واحد، أو منطقة معينة. قادت هذه النظرة أيضًا إلى الإيمان بقانون طبيعي يعلو على القانون المدني ويعطي معيارًا تقوّم به قوانين الإنسان.

يختصرون القضية بأن (لا يجدر بالإنسان أن يحزن) و ينطلقون في صياغة نظرتهم الى الحزن من فكرة (عدم القدرة على تغيير الحال) وكأن القضية هي قضية مبادلة تجارية او جزء من أي نشاط يومي يقوم به الإنسان، إن نظرة (الرَّوَاقِيِّين) هذه التي نراها لأول وهلة أنها نظرة سطحية الى الحزن، هي بالحقيقة ليست كذلك، بل "هي فلسفة تستند الى التملص من ضغوط المشاعر"، كما يعبّر الفيلسوف الرواقي (سينيكا)[1]، ولذلك اتهمهم منتقدو الفلسفة الرواقية بأنهم فلاسفة صارمون قساة القلوب ليس في وجودهم شيء من الحب أو الرحمة ، فليس من السهولة أن يخضع العقل لأفكارهم، التي تدعو

ورأى الرواقيّون أن الناس يحققون أعظم خير لأنفسهم، ويبلغون السعادة باتباع الحق، وبتحرير أنفسهم من الانفعالات، وبالتركيز فقط على أشياء بوسعهم السيطرة عليها... لقد كان للفلاسفة الرواقيين أكبر الأثر في القانون والأخلاق والنظرية السياسية. على أنهم وضعوا أيضًا نظريات مهمة في المنطق، والمعرفة، والفلسفة الطبيعية.

كان الرواقيّون الأوائل، وخاصة كريسيبس، مغرمين بالمنطق، والفلسفة الطبيعية وكذلك بالأخلاقيات. وشدد الرواقيّون المتأخرون . خاصة سينيكا وماركوس أورليوس وإبكتتوس . على الأخلاقيات.

[1] لوكيوس أنايوس سينيك،و يعرف أيضًا باسم سينيكا؛ فيلسوف وخطيب وكاتب مسرحي روماني، يعد سينيكا واحداً من أبرز الدعاة إلى الفلسفة الرواقيّة، وقد وقف جلّ كتاباته الفلسفية والمسرحية من أجل هذا الهدف. ومن بين أعماله النثرية ما يعرف باسم المحاورات **Dialogi** .

الى طرد الحزن وفصله عن الروح، لأنه (ببساطة ليس فيه فائدة) كما يقولون !

إننا، ومن ينتقدهم، لو تأملنا مطلبهم الذي عدّوه نتاج فلسفتهم الى الحزن، وأعني طرد الحزن، سنجد أن كل محزون قام بهذا الفعل، وطبق إرادتهم في وجوب طرد الحزن الى خارج الروح، لكن لم تكن هذه العملية بقرار صادر منا، وإنما طبيعة الإنسان وخط سيره الروحي، يكشف أنه فعلاً قد طرد الحزن الى خارج روحه، وخلصها من كل تبعاته،ولو بعد حين وزمن قد يطول أو يقصر، بحسب قوة ارتباطنا بالفقيد الذي أثار حزننا يوما ما ...

فهل لطول المدة التي استغرقها تنفيذ قرار طردنا للحزن أهمية بعد ذلك، إنْ كنا فعلًا قد طردنا الحزن وألقينا به خارج منظومة أرواحنا ؟!

لم يكن نقاد الفلسفة الرواقيّة مخطئين في الحقيقة، فإن مفاهيم الفلسفة الرواقيّة كانت متصلبة جدًا وقاسية في نظرتها الى المشاعر، فهم تطرفوا غاية التطرف في التنكر للأحاسيس التي لا تعد . في نظرهم . جزءًا من المنظومة العقلية، التي قالوا إن الامتثال

لها يحقق الحالَ المثالية لكل إنسان، هذه المثالية التي ترفض الحزن، لأنه (أمر غير عقلي) بل ويُخرج الإنسان من دائرة المثالية العقلية التي يجب أن لا يفارقها أبدًا.

إن (زينون الرواقيّ) . وهو المؤسس الأول للفلسفة الرواقية . لا يمكن أن يقنع إنسانًا بسيطًا، كيف يجب عليه أن يحزن عند موت ولده في حجره، أو يطلب من أم تعجز من أن تنقذ ولدها من موت محقق، بأن تكتفي بكلمة (يا خسارة لم استطع انقاذك يا ولدي)، وتحمل حالها وتكمل مشوارها في إداء اعمالها المنزلية ... هذا في الواقع ضربٌ من الخيال، إن لم يكن جنونًا، فالطبيعة مهما تلبست بلباسها المادي، لا يمكن ان تتنكر للحب والحزن والشوق، وغيرها من المشاعر التي تشكل الجزء الماورائي للخليقة، فالإنسان ممكن أن يتجرأ ويقطع يده التي أصابها (الغنغرينا) لينهي مشوار تألمه منها، لكن ليس بمقدوره ان يتحكم بما لا يراه من مكونات شخصيته .. ربما ! لو رآها يكون للكلام منحىً آخرُ لا نعرف أين سيتجه حينها ..

لقد أبدع استاذ علم النفس البروفسور (براين دي ايرب) واستاذ الفلسفة البروفسور (دان مولر) في الرد على الرواقيّين، وعدَّهم ايرب مثاليين الى درجة انهم "اضطربت عقولهم وأدت بهم الى تخيل سلالةٍ من كائنات خيالية، تمتاز بالمرونة الفائقة" وأسماهم البشر المعدلين، وقال " إنها مخلوقات تشبهنا تمامًا، لكن ليس لديها ردود أفعال، حزينة على ما يحدث من مصائب مؤلمة".

و يشرح مولر أنه " في حال موت أحد أحبائهم أمام أعينهم، فإنهم يهزون رؤوسهم، ثم يستمرون في ما كانوا يفعلونه، مثل مشاهدة التلفاز، ولو كان الشخص الذي فُقِد زوجَ أحدهم، فإن الزوجة سرعان ما تتزوج مرة أخرى بمجرد أن تتمكن من العثور على رفيقٍ آخر مناسب، والذي يحدث غالبًا في غضون أسابيع ".

لقد اختصر مولر و ايرب فلسفة الرواقيين ووصفاها بأنها فلسفة خيالية تناقض الواقع، الذي ليس أمام الفلسفة إلا تحليله ووصفه، ولا قدرة لها على تغييره، بل ليس من شأنها تغييره، فالفلسفة ليست دعوة تصحيح أو إصلاح، فهذه مهمة الأديان، وليست من ضمن مسؤوليات الفيلسوف.

لم يكن مولر المنتقد الوحيد للفلسفة الرواقيّة، فهناك قائمة طويلة من الفلاسفة والمفكرين ممن ردّوا على الرواقيّة وعدّوها غير واقعية.

إن نقد الفلسفة الرواقيّة كان نقدًا قابلًا للرد عليه، فالرواقيّون لا ينكرون وجود المشاعر كما عبر الفيلسوف الرواقيّ (إبيكتيتوس)، لكنهم لا يريدون أن تتحكم في حياة الإنسان، الى الدرجة التي تجعله عاجزًا عن إداء وظائفه اليومية، وهذا ما يحصل في حال الحزن على الأغلب، فعدم قدرة الإنسان على استحضار مشاعر الحزن على موت عزيز، لا يعني في نظرهم أنه لم يكن يحبه، وإنما هو عائد الى ما وطّن عليه نفسه من حتمية حصول الفقد، مما يجعل العقل حاكمًا على المشاعر فيضعف تأثيرها، وهذا وإن كان ممكنًا حصوله عند النظر اليه للوهلة الأولى، لكن في الواقع هو من أكثر الأمور صعوبة للعوام من الناس، نعم، ربما يكون ذلك قابلًا للتحقيق لدى الذوات العالية، والنفوس التي نجحت في التجرد، ووصلت الى مقام الانصهار الكامل في الحقيقة المطلقة.

في كتابها (الرواقيّة والعاطفة) تؤكد «مارغريت غرافر»، أن " لـم تكـن لـدى مؤسسـي المدرسـة الرواقيـة أيـة نيّـة لإلغـاء المشـاعر العاطفيـة أو نفيهـا، وإنمـا كـان مسـعاهم، مـن خـلال تأمُّـل النفـس، هـو معرفـة مشـاعرنا الطبيعيـة وتحديـدها، فكثـرة المشـاعر التـي نختبرهـا، وارتباكهـا وتزاحمهـا، كانـت دائمًـا مـا تثيـر استياءهم، وربمـا ارتباكهم كذلك "،فهي كما عبرت تكون مناصرة للرواقيّة، أو قد تكون مناصرة للرواقيّة التي تفهمها.

إن إدراك الفلسـفة الرواقيـة بحسـب فهـم السـيدة مارغريـت، تدعو الى تقبل كل ما من شأنه أن يؤدي الى الحزن، ويورث آلامه في النفس، لنتجنب الوقوع في العجز من التحكم في مشاعرنا، أو لا نضطر الى قمعها، عندما تقرر أن تطلق العنان للدموع أن تنهمر، ففي سقوطها عندئذ راحة للعقل.

ويبقـى السـؤال الصـعب الـذي لـم يُجب عليـه أحـد، فنحن عندما نذعن الى إرادة الرواقيين، ونعمل على تحكيم العقل بالتسليم والرضـا بحتميـة كـل مـا يـؤدي الـى الحـزن، مـن أسـباب خارجـة عـن إرادتنـا، لتجنُّـب الغـرق فـي أحـزان الحـداد، فيـا تـرى .. كيـف نبعـد

الحزن عن أنفسنا عندما نحزن لأسباب روحية غير معروفة ونجهل أسبابها ؟

" إن هذه الفكرة قد تكون الأكثر رعبًا في كل ما وصل إلينا من الفلسفة القديمة " كما يعبر (بيتر آدامسون)[1] ويكمل قائلاً :" لكن هذا الرعب قد يمكن فهمه والتعامل معه، حينما نفهم أن هذه الفكرة لا تعني أن نمنع أنفسنا من الاستمتاع بالحياة، لكنها تذكير بأهمية الحفاظ على النفس، والتسلُّح بالفهم لحماية أنفسنا، حين نصبح وجهًا لوجه مع حقيقة الحياة القاسية كالموت مثلًا ".

و يعَرف الكندي الحزنَ بأنه " ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات "، وهو التعريف ذاته الذي ركن إليه ابن مسكويه حيث يقول: " إنّ الحزن يلحق مَنْ فقد مُلْكًا أو طلب أمرًا فلم يجده ...[ويقول] الحزن ليس بضروري ولا طبيعي "، وحين يكون الحزن الحد المقابل للسعادة، يكون بذلك الإنسان الحزين لا يمكن أن يكون سعيدًا، فالضدان لا يجتمعان.

[1] أستاذ الفلسفة بجامعة لندن له مقالات منشورة على النت يمكن الرجوع اليها .

وقد يميل الكثير من الفلاسفة، الى أنَّ الحزنَ ألمٌ كحال الآلام الاخرى التي يشعر بها الإنسان، وما زال الألم مظهرًا من مظاهر المرض، فيكون الحزن في الحقيقة مرضاً وفق نظرة ابن مسكويه اليه، ولابد من اقتلاعه من النفس، وجعلَ للحزن وصفةً في المقالة السادسة من كتابه الشهير (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)[١] وهذا ايضًا ما ذهب اليه الكندي، فهو يعدُّ الحزن " إنّما هو من آلام النّفس"[٢]،وعلى الإنسان أن يعمل على اقتلاعه، فحريٌّ بالإنسان الذي يبذل الأموال من أجل شفائه من مرض بدني مادي، أن يجهد الى شفاء نفسه من ألم الحزن، ففضل النفس على البدن ما لا يمكن المقارنة، والكندي قد يقترب من الرواقيّين عندما يدعو الى السعي الى تحكيم العقل، وعدم ترك النفس ان تتعلق بالشهوات، التي لا يمكن أن يرضى الإنسان أو يكتفي منها، مما يكون طلبها دافعًا الى الحزن والوقوع في شراكه.

إذن فالكندي والرواقيون يدعوننا الى أن نَعِيَ إمكانية أن نفارق هذا العالم في أي وقت، وأن هذا الأمر ينطبق على كل من

---

[١] تهذيب الأخلاق، مسكويه ، ص ١٨٠ وما بعدها.

[٢] الكندي، في الحيلة لدفع الأحزان، ص ١١.

نحبهم بصدق، فالحياة هشة للغاية، وقابلة للتقلُّب والتغيُّر، وعلينا أن نَعي أننا لسنا خالدين في هذا العالم، ولا يوجد ما يمكن فعله حيال هذا، وكل ما يمكن أن يحدث في وقتٍ ما، يمكن أن يحدث الآن، هذا ما يمكن أن نستفيده من الرواقية، ففي اللحظة التي نستمتع فيها بشيءٍ ما، علينا أن نضع نصب أعيننا الحقيقة التي نخشاها جميعاً.

أليس هذا بالذات ما يدعونا اليه النبي (ص) عندما يقول [١]" إذكروا هادم اللذات " ؟

وبعد هذا العرض المختصر، نكون قد حددنا المظهر الحقيقي للحزن، ونستطيع أن نقول أن مظهره هو (عدم الرضا)،

---

[١] بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ٦ ص ١٣٣ قال النبي صلى الله عليه وآله: اذكروا هادم اللذات، فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: الموت، فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه، والموت أول منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعده أبعد، فما أجرأ الانسان على نفسه! وما أضعفه من خلق! وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين، ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره..

الناشئ من عجز النفس عن تحصيل ما تريد تحقيقه، مما يورث النفس الألم، وبذلك نكون قد أدركنا فلسفة الحزن عند الإمام زين العابدين، فالإمام عليه السلام بنى حزنه على مفهوم عدم الرضا، ولذلك كانت رسالته، إشاعة ثقافة روحية تستند الى هذا المفهوم، وهو في الحقيقة صُلْبُ ما تدعو اليه الرسالات السماوية، وأعني ثقافة عدم الرضا عن النفس والطموح الى تحقيق الأفضل، الذي يرضي الله تبارك تعالى، فالإمام زين العابدين لا يمكن أن يرضى للحال التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي، من ظلم واستبداد وسياسة التجاوز على الحقوق وانتهاك الحرمات، التي كان يمارسها الحكم الأموي الفاسد، فلابد إذن أن يتدرب المجتمع على ممارسة ثقافة عدم الرضا، التي هي بدورها تؤدي الى الثورة من أجل تغيير الواقع المزري، الذي يعيشه الناس تحت نِير السلطة الأموية، وكذلك لابد أن يتدرب المجتمع على مفهوم عدم الرضا عن النفس، في القيام بتكاليفها الدينية، وضعفها عن أداء حق الشكر لله تعالى، وهذا ما نراه في كل ما كان يمارسه الإمام زين العابدين (ع) من عبادات، يكون الخوف حاضرًا فيها، ليكون بذلك المثال الذي يجب أن

يتقمص المجتمعُ سيرتَه، ويتخلص بذلك من الضعف والخمول في إيتاء الطاعات ...

وعدم الرضا هذا، بالتأكيد قد يدعونا الى البكاء والنحيب في حضرة الباري تعالى، كصورة من صور الاعتراف بالعجز.

الخاتمة

حين نبحث قضية الحزن، كما هو البحث في غيره من المشاعر كالغبطة والسرور، فنحن،عادةً، نتناولها كمشاعر إنسانية باطنية مستقرة في الشخصية الإنسانية، و كأية حال إنسانية أخرى لا يمكن فهمها على إنها مجرد انفعال في الذات، يمر على الإنسان بصورة طارئة تتصل بالجانب السلبي في حياته عند الحزن، أو الجانب الإيجابي لغيرها من المشاعر كالسرور، بل هي إنفعالات للانفتاح على القضايا العامة أو الخاصة المتصلة بتلك الإنفعالات، وذلك نابع من إدراك الإنسان للمصلحة في تحقيق الهدف من اثارة ذلك الانفعال، لأنّ الذات في سيرها التكاملي الذي لا ينفك عن حركة الانسان في المجتمع، أو حركته في خط سيره الروحي الى الله تعالى، قد يحتاج إلى تفعيل كل عناصر الحزن، أو غيره من المشاعر لضمان وصوله الى هدفه.

وهذا ظاهر في أنّ الإنسان لم يحتفظ بالحزن، كممارسة شعورية داخلية، لتستقر مختفية في مناطق الإحساس العميقة من شخصيّته، بل نراه يعبر عنها بتصرفات ظاهرية بالدموع تارةً، وبالصراخ أخرى، وحتى بالكلام الموحي لإظهار تلك المشاعر، كنظم الشعر أو اللجوء

الى الرسم أو غيره من وسائل التعبير، وقد تصل الحال ببعض الأفعال المرتبطة بالحزن أن يلجأ الحزين الى لطم صدره، أو ضرب رأسه بالجارحة من الأدوات، و بتعبيرات اخرى كثيرة بحسب عادات الشعوب... فتعبير الإنسان عن الحزن عائد الى حاجته في التأثير على الآخرين ليستدرّ عطفهم، وليؤكّد عمق ارتباطه بالشخص الذي أثار الحزن في ذاته، وقد يكون الغرض هو دفعهم الى تبني فكرة الحزن التي تباناها هو، وهذا يأتي من دون سابق تفكير وتدبر في الأغلب الأعم .فالحزن عندما يكون مرتبطاً بفراق أو غيره على المستوى الشخصي، يقتصر على بعض الأفعال التي لا يهدف منها تحويل الحزن الى قضية يُراد منها تحقيق أهداف عامة، على عكس ما نلاحظه من سعي المحزون (فردًا كان أو جماعةً) من توسيع دائرة التأثير، عندما تكون مسألة الحزن عامة، كأن تكون متصلة بشخصية مقدّسة، كنبيّ أو إمام أو عالِم، أو شخصية سياسية أو اجتماعية، فتظهر تعبيرات يشرف على إبرازها المتصدون لإدارة الحزن، لاستفزاز الجانب الحركي في حياة الناس، من أجل صنع علاقة تربط الناس بهذه الشخصية أو تلك، ليكون ذلك دافعاً

لإنتاج وضع جديد، أو مواجهة وضع آخر كان مشاركاً في انطلاقة المأساة.

من هنا نستطيع أن نتصوّر أهداف العاملين في الحقل الإسلامي العامّ، فهم بحاجة إلى تحريك الحزن لإبراز القضايا التي ترتبط بالذهنيّة الجماهيريّة العامّة، سواءٌ من خلال الشخصيات المقدّسة أو المآسي المفجعة، أو الأحداث الصارخة في الواقع التاريخي أو الحاضر، وهذا عمل مفيد في ترسيخ القيم والقضايا الإجتماعية العامة - شرط - أن تدرس منطلقات الحزن أو الساحة التي تحركت فيها المأساة التي أثارته، وكذلك دراسة الآفاق التي قد تتوسع فيها دائرة الحزن بشكل سلبي، ما يؤدي الى إضعاف حركية هذا الحزن أو تشويه الأهداف والقضايا الكبرى المرتبطة به، أو حتى استغلال الحزن نفسه أو تعبيراته لصنع مطبات سلبية معقدة، تؤدي الى تحريك الصراعات التأريخية التي عاشها الواقع الإسلامي.

فالحزن و وسائله التعبيرية، قد تكون نافعة في تحقيق نتائج إيجابية كبرى في خدمة هذا الهدف أو ذاك، (كما هي الحال في الحزن السجادي) وهذا يعني اختصار الكثير من الجهد والوقت

والوسائل التي قد نحتاجها في تعميق ارتباط الأمة بهذه القضيّة الكبرى أو تلك، فالعاطفة مؤكد أنها تمثل أقصر المسافات للوصول إلى هذه النتائج، و ليس من الخطأ أن تتصل مفردات العاطفة بالحسّ المذهبي، لكن يجب أن نسعى الى تحقيق اتصالها بالحسّ الشوريّ من جهة أخرى، مع الحذر والدقّة في الإمساك بهذه المفردات، لا بعزلها عن الجانب المذهبي، وإنما بربطها بالخط العامّ للإسلام، من خلال ترسيخ مفهوم القضية الذي نحاول أن نستثير المأساة من خلالها، في الجو الإسلامي العام، وذلك يعني من جهة أخرى عزل الفريق الآخر وامتداداته المعاصرة المسبب للمأساة، و جعله عنوانًا للمشكلة الكبرى التي تمثل السلبيّة في الواقع الإسلاميّ، بدلًا من أن تكون هذه القضية المأساوية عنوانًا مذهبيًا صِرْفًا، يكون سببًا للفرقة بدلًا من أن يكون دافعاً للوحدة ولَمّ الشمل.

فعندما حمل الإمام زين العابدين (ع) مهمة ترسيخ مفاهيم قضية الإمام الحسين (ع) وخروجه على السلطة الأموية الظالمة، فإنّه كان يؤكّد للواقع الإسلامي كلّه، أن يزيدًا لا يمثل قيمة إسلامية، لا ضمن مستوى العقيدة، ولا ضمن مستوى الدين، ولا حتى ضمن مستوى

حركة الحكم في خط الاستقامة في الإسلام، وإنّ بني أمية لا يمثلون بمجملهم عائلة مقدّسة في الإسلام، وإن نزوا على كرسي الخلافة (الذي يحمل ضمنًا معنى القداسة) وذلك من خلال التركيز على تجريد فعهلم المشين، من كل ما يمكن ان يلجؤوا إليه كوسيلة من وسائل التبرير.

لقد خاض الإمام زين العابدين (ع) صراعًا عظيمًا، لتربية الأمة على المعاني الروحية التي يمثلها الإمام الحسين (ع) في الدين الإسلامي، من خلال التعريف بخصائصه القيادية ومناقبه المرتبطة بجده النبيّ (ص)، ومن خلال التعريف بقضية الإصلاح التي عرضها وبذل من أجلها التضحيات الجسام.

إنَّ النظرة العامة الى النشاطات التي تبناها الإمام زين العابدين (ع)، جعلت مسألة الحسين ليست مجرّد مسألة شخص نحبّه، أو شخص تربطه صلة القربى برسول الله (ص) بالنسب، ولكنها قضية شخص حمل العناوين الكبرى للقضايا الإسلامية، التي يمكن أن تمتدّ إلى الواقع الإسلامي كله،على مستوى الحاضر والمستقبل، كما عاشت في الماضي.

إننا حينما ندرس قضية الحزن السجادي، فنحن ندرس النافذة الوحيدة التي وضعت قضية الحسين في دائرتها السياسية والاجتماعية، وفي خطوطها الدينية الكبرى، فهذا الحزن رسّخ مفهوم إسلامية القضية، وجرّد وعرّى الإعلام الأموي الذي مازال الى يومنا هذا ثمة مَنْ يحمل رايته، و يعمل على الإيحاء للمجتمع الإسلامي بأن قضية الحسين (ع) قضيّة شيعيّة يستهلك الشيعة فيها عواطفهم، ودموعهم بالطريقة التي تزيد من أزمتهم النفسيّة ضدّ الفريق الآخر من المسلمين، الذي قد يبادر بعمليّة ردّ فعل ليؤكّد رفضه لهذه القضية، وقد يتحرك به التعصب إلى أن يبحث عن إيجابيات لسيرة (يزيد) ولموقفه ولشخصيّته، كما فعل بعض الذين كتبوا في التاريخ أنّ الحسين قُتِلَ بسيف جدّه، لتكون المسألة في نظر قسم كبير من الأمة داخلة في دائرة التجاذب الشيعي- السني.

إن تأكيد الإمام زين العابدين (ع) على الاستفادة من الشحن العاطفي في قضية الحزن، راجع الى أن الحزن شعور إنساني يختزنه كل إنسان بغض الطرف عما يحمله من أفكار. فلا يوجد إنسان تتجمد مشاعره أمام موقف تقطيع أعضاء أبي الفضل العباس (ع)، ليس لشيء، سوى لأنه أراد إملاء قربة ماء، يروي بها أطفالًا يكون

من العطش، أو لا تدمع عيناه لمنظر حرق خيام النساء، و هروبهن من النار في تلك الأجواء المشحونة بدخان المعركة، أو لا تثيره العاطفة على تعمد سحق الجسد الشريف بحوافر الخيول، إمعانًا في الحقد والتحامل على ريحانة رسول الله (ص).

إن الإنسان الذي نجح الإمام زين العابدين (ع) في إثارته نحو المأساة التاريخيّة، وعلى الذين صنعوها، يمكن أن تحرّكه ليثور على الذين يصنعون مأساة الإنسان في الحاضر، من خلال المواقف المماثلة أو الأوضاع المشابهة لتلك القضيّة.

وبذلك يكون الحزن السجاديّ قد نفذ الى جميع العصور والأزمان، و جعل لعاشوراء حصةً في أيام البشر كلها و مكانًا في أماكنهم كلها . فالقضية التي تخترق الزمان والمكان ليست في الحقيقة قضية حزن سلبي مهزوم، بل أن الحزنَ هو بالذات سرُّ إنتصارها.

والحمد لله ربّ العالمين

تم الفراغ من هذا الكتاب في يوم الأحد الـ ٢١ من شهر رمضان عام ١٤٤٣هـ ليلة وفاة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المصادر

- تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهري – دار الحديث / القاهرة
- تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي –اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / دولة الكويت الطبعة الأولى عام ٢٠٠١م
- فقه اللغة وسر العربية / ابو منصور الثعالبي – دار احياء التراث العربي / بيروت ط الأولى
- النظام القرآني / النيلي – دار نشر ذوي القربي – قم ايران
- علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية / الدكتور عبد العزيز القوصي ط/٨ مكتبة النهضة العصرية.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين (ابن القيم) الناشر : دار ابن القيم
- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ ابي محمد صدر الدين روزبهان البقلي دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- تفسير خواطر محمد متولي الشعراوي الطبعة الأولى دار اخبار اليوم مصر القاهرة
- الفتوحات المكية محي الدين ابن عربي دار الكتب العلمية بيروت لبنان

- مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ نشر دار صادر بيروت لبنان.
- منازل السائرين لأبي إسماعيل الأنصاري الهروي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٨٨
- تزكية النفس لآية الله العظمى السيد كاظم الحائري دار الفقه للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.
- الرسالة القشيرية زين الدين القشيري . دار جوامع الكلم القاهرة مصر
- شرح صلوات چهارده معصوم - وسيلة الخادم إلى المخدوم) للشيخ فضل الله بن روزبهان الإصبهاني) طبع في مؤسسة انصاريان قم ايران
- نهج البلاغة قصار الحكم.نشر مؤسسة قصبة الياقوت للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ
- تاريخ مدينة دمشق دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٥ بيروت لبنان
- تفسير كنز الدقائق العارف الميرزا محمد المشهدي نشر دار الكتب العلمية قم ايران الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ

- نهج البلاغة نشر مكتبة الاندلس بيروت لبنان ١٩٧٣م
- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار (ع) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ٢٠٠٨م.
- أدب الطف السيد محمد شبر: مطابع قدموس الجديدة بيروت لبنان ١٩٧١م
- سيرة ابن هشام دار الصحابة للتراث في طنطا مصر الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- مثير الاحزان الشيخ ابن نما الحلي نشر مدرسة الإمام المهدي(ع) في قم المقدسة ايران مطبعة أمير الطبعة الثالثة ١٤٠٦
- إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات محمد بن الحسن الحر العاملي نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- كشف الغمة في معرفة الأئمة علي بن عيسى الاردبيلي نشر محمد باقر كتابجي المطبعة الإسلامية في تبريز ايران الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
- فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس نشر مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ميرزا حسين النوري الطبرسي مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة (ع) لابن الصباغ المالكي دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- مناقب آل ابي طالب رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- فاجعة الطف ابعادها، ثمراتها، توقيتها السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم نشر موسسة الحكمه للثقافه الإسلامية النجف الأشرف العراق الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- سيرة الأئمّة الإثني عشرَ (ع) هاشم معروف الحسنيّ دار المعارف للمطبوعات بيروت لبنان الطبعة السادسة ١٩٩٠م.
- حياة الإمام زين العابدين – دراسة وتحليل الشيخ باقر شريف القريشي دار الكتاب الأسلامي قم ايران الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- طبقات الفقهاء قسم طبقات التابعين في المدينة . أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشافعي دار الرائد العربي، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين النووي، نشر شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- العبر في خبر من غبر محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان
- سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي طباعة ونشر بيت الأفكار الدولية بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- الطبقات الكبرى محمد بن سعد المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر نشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر دار الرشيد - سوريا الطبعة الأولى ١٩٨٦ .
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن علي بن حجر الهيتمي، نشر: مؤسسة الرسالة - لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ١٩٨٥م.

- درر الأبكار في وصف الصفوة الأخيار /المؤلف السرميني، علي بن صدقة، نشر دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٩.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر مطبعة السعادة ١٩٧٤م.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق اليعقوبي نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير طبع في مطبعة السعادة – القاهرة مصر.
- وسيلة المآل في عد مناقب الآل، أحمد ابن الفضل الشافعي نشر شركة تكوين العالمية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠٢١.
عيون الأخبار وفنون الآثار عماد الدين ادريس بن الحسن الأنف، نشر معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن بريطانيا ٢٠١٦م.
- عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ابن عنبة، أحمد بن علي، نشر: النجف الاشرف العراق منشورات المطبعة الحيدرية عام ١٩٦١
- الإتحاف بحب الأشراف عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي مؤسسة الكتاب الإسلامي الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

- تحفة الراغب في سيرة جماعة من اعيان اهل البيت الاطائب شهاب الدين احمد بن احمد قليوبي طباعة حجرية في مطبعة محمد مصطفى عام ١٨٨٩م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية الحراني نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ (ص) لمحمود بن محمّد بن علي الشيخاني القادري ، الشافعي المدني ، من أعلام القرن الحادي عشر نسخة خطية في مكتبة أمير المؤمنين العامة في النجف الأشرف.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، نشر دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ١٩٧١م.
- زهرة المقول في نسب ثاني فرعيّ الرسول (ص)، زين الدين علي بن ابي المكارم الحسيني المدني تحقيق السيد مهدي الرجائي بأشراف السيد محمود المرعشي النجفي.

جمهرة الاولياء واعلام اهل التصوف / تأليف السيد محمود ابو الفيض المنوفى الحسينى الجزء ١-٢ بمجلد واحد، نشر

القاهرة مصر، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٩٦٧م.

- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية زين الدين محمد بن رؤوف المناوي، تحقيق محمد اديب الجادر، دار صادر بيروت لبنان

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، أبي سالم كمال الدين محمد بن طلحة النصيبي الشافعي، نشر مؤسسة البلاغ بيروت لبنان ١٩٩٩م.

- نهاية الإرب في فنون الأدب شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري تحقيق الدكتور مفيد قميحة نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٤م..

- رسائل الجاحظ دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٢م.

- دائرة المعارف، بطرس البستاني، طباعة حجرية طبع في مطبعة الأدبية في بيروت لبنان عام ١٨٨٧م.

- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، اصدار مكتبة نينوى الحديثة طهران ايران.

- غاية الإختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تاج الدين ابن محمد الحسيني نقيب حلب، نشر المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف العراق، الطبعة الأولى ١٩٦٣م.

- الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الخامسة عشرة عام ٢٠٠٢م .

- التفسير الكبير مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، نشر دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة مصر ٢٠١٢م.

- تفسير الجامع لاحكام القرآن/ ابي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الطبعة الثانية في دار الكتب المصرية القاهرة مصر ١٩٤١م.

- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نشر مركز البحوث والدراسات للتراث الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، نشر مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ق.

- متشابه القرآن والمختلف فيه، أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب، نشر جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان بن محمد الجنابذي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٨.

- تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نشر مكتبة الأمين ومطبوع في المطبعة العلمية في النجف الأشرف العراق ١٩٥٧م.
- المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الملقب بـ (مسكويه)، نشر دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية.
- الكندي، في الحيلة لدفع الأحزان، رسالة مخطوط آيا صوفيا الرقم ٤٨٣٢.

المحتويات

مفهومُ الحُزْنِ في الإسلام

رياض عبد العزيز الحسني

إن مفردة الحزن لا يمكن أن تؤتي ثمارها، سواء منها السلبية أو الإيجابية، أن لم تسر وفق منهج متكامل، يقود الفرد الى نوع أو طريقة للحياة، يتكامل فيها الحزن مع مفردات أخرى فكرية وروحية، وتطبيقات عملية يكون اثرها واضحاً على حياة الإنسان، فلم يكن يعقوب النبي حزيناً وكفى، بل إن (الحزن اليعقوبي) كان منظومة دعوية اصطبغت بها حياة النبي يعقوب عليه السلام، وبان آثرها على محيطه المجتمعي كله.

من هنا يجرنا البحث الى الفارق الجوهري للتعامل القرآني مع مفردة الحزن، وكيف كان سياق الآيات في عرض حزن أم موسى مثلاً وطبيعة السياق في عرض حزن مريم وآسيا زوجة فرعون، فهناك بَونٌ شاسع في عرض الحزن كقضية اجتماعية عامة وبين عرضه كحال فردية يقدمها القرآن كأنموذج وعبرة ..





2024

